روايات عبير

مارجري لوتي

الهوى يقرع مرة

٣٤

١ ـ مفاجأة في المدرسة

كانت سامانتا تقف على السلم، تقوم بطلاء سقف غرفة السكرتارية الملحقة بغرفة ناظر المدرسة في مدرسة كينغزورثي التي تعمل سكرتيرة بها، عندما سمعت صوت جرس الباب الأمامي. وكانت المدرسة في ذلك الوقت خالية من التلاميذ والمدرسين، فهذا هو الأسبوع الثالث في عطلة عيد الفصح. ووسط السكون التام الذي يخيّم على المدرسة سمعت سامانتا بوضوح صوت أقدام، السيدة كيبل التي تعمل مشرفة بالمدرسة، وهي تعبر البهو الخشبي لتتجه الى الباب.

وتسمّرت سامانتا في مكانها أعلى السلم، وتملكها شعور بالخوف، تخطر الى ذهنها لأول وهلة، أن أحداً يريد أن يبلغها رسالة من المستشفى الذي يعالج به العم ادوارد، فقد أبلغتها الممرضة أمس أن العملية التي أجريت له تمت بطريقة مرضية تماماً، وأنه لا داعي للقلق، ولكنها عملية دقيقة ولا يمكن التأكد تماماً من نتيجتها قبل بضعة أيام.

وأخذت الأفكار تتوارد على ذهن سامانتا وهي في وقفتها هذه، وحاولت اقناع نفسها بأنه اذا كانت حالة العم ادوارد قد ساءت فعلاً فمن البديهي أن تبلغها المستشفى عن طريق الهاتف، بدلاً من تكبّد مشقة ارسال شخص لابلاغها بذلك. فالمستشفى تبعد كثيراً عن المدرسة. وفكّرت، ربما كان الهاتف معطلاً فهي

ليست متأكدة تماماً من أنه يعمل لأنها لم تستخدمه منذ صباح اليوم. وظلت سامانثا في تساؤلاتها وكتمت أنفاسها في انتظار معرفة القادم وهي تسمع صوت دقات قلبها وسط السكون الذي يخيم على المكان.

سمعت سامانثا صوت الباب الأمامي يفتح، ثم صوت السيدة كيل وهي تتحدث مع شخص ما، ثم تنفست سامانثا الصعداء وهي تسمع صوت أقدام تصعد الدرج بسرعة وصوت أختها ليزا تنادي:

«سامانثا.. سام.. أين أنت؟»

وتنهدت سامانثا بعمق وأجابت في صوت تلاشى منه القلق وطول الترقب:

«أنا هنا في المكتب يا ليزا.»

وفتح الباب ووقفت ليزا تنظر إلى الغرفة وقد بدت في حالة شديدة من الفوضى، وغطيت أرضيتها بالورق لحمايتها من بقع الطلاء الذي تملأ رائحته الغرفة فظهر على وجه ليزا الاستياء وهي تقول لأختها:

«سام.. ماذا تفعلين وسط كل هذه الفوضى المتقطعة التي تملأ المكان؟»

ونظرت إليها سامانثا من مكانها أعلى السلم وأجابتها ضاحكة:

«إنني أحاول أن أكون مثمرة وأنا أقوم بعملية الطلاء، ولكنك تعرفين أنه لا يمكن طلاء سقف الغرفة من دون بعض الفوضى.»

فسألتها ليزا:

«ولكن.. لماذا تقومين أنت بهذا العمل، ألم يكن بمقدورك الاستعانة بأحد الأشخاص للقيام بذلك؟»

وابتسمت سامانثا وهي تنظر إلى أختها الصغرى، التي ترتدي ثوباً قطنياً وقد أمسكت بيدها حقيبة وقفازاً من الجلد الشمعي الفاخر، وشعرها الأشقر الطويل المنسدل على كتفيها وتذكرت سامانثا وهي تنظر إلى ليزا بأنه كان من حسن حظ أختها فعلاً أن تتزوج رجلاً غنياً.

وردت سامانثا قائلة:

«أنت تعرفين أنه من الصعب الاستعانة بأحد على الفور، وخطرت لي فكرة طلاء الغرفة بنفسي.»

ولم تقل سامانثا لأختها إنها تمكنت القيام بهذه العملية في هذا الوقت بالذات، لرغبتها في قتل الوقت والتغلب على القلق الذي تشعر به أثناء إجراء العملية الجراحية للعم ليونارد.

والتفتت ليزا إلى داخل الحجرة وهي تقول:

«والآن يا سام.. أريدك أن تنزلي وتستعدي للذهاب معي. لقد حضرت لأصطحبك اليوم إلى منزلي، ويمكننا تناول الغداء في [illegible] في طريقنا إلى المنزل، كم يلزمك من الوقت لتتخلصي من هذه الثياب المضحكة؟»

«أحتج على ذلك، فهذا أحسن ثوب عندي.»

أجابت سامانثا ضاحكة، ثم أضافت:

«ولكنني أعتقد أنني لن أتمكن من الذهاب معك يا ليزا.»

وكست عينا ليزا واكتسى وجهها الجميل بالتعبير الذي طالما لازمها منذ كانت طفلة صغيرة عندما كانت لا تجاب إلى شيء تطلبه، وقالت معلنة التأثر على أختها:

«ولكن يا سام.. يا عزيزتي لا بد أن تحضري معي، فإن القلق سيقتلني لو بقيت وحدي طوال اليوم. لقد سافرت عائلة [illegible] إلى نيويورك وسافرت [illegible] مع [illegible] لحضور أحد الاجتماعات في أمستردام، [illegible] كما تعرفين في [illegible] الآن، وكم كنت أود اللحاق به ولكنني أخشى أن أفعل ذلك بدون علم [illegible]، أنت تعرفين أنه سيثور لو فعلت ذلك بدون علمه.»

فقالت سامانثا وقد شرد ذهنها قليلاً:

«لقد تزوجت رجلاً [illegible] الكلمة يا ليزا وأنت تعرفين ذلك.»

وودت سامانثا لو أن ليزا سألتها عن العم ليونارد، ولكنها لم تسأل.

التي لا تحب العمل المتواصل أو الخوض في حديث من المشاكل أو الموضوعات الجادة. وكان الجميع منذ صغرها يحاولون تجنيبها التعرض لأي مشاكل أو صدمات. نظرت سامانثا إلى أختها وقالت:

«كانت العملية خطيرة للغاية، وسيلزمه وقت طويل قبل الإبلال للشفاء تماماً والعودة إلى العمل».

ثم أضافت وقد بدت في عينيها نظرة قلق:

«إذا كان سيقدر له العودة إلى العمل فعلاً».

وربما شعرت ليزا أنها تريد عدم الاستطراد في هذا الحديث فقالت بصوت باكٍ:

«لا تقلقي يا سام فالعم إدوارد سيكون بخير وسيمكنه العودة إلى عمله. فالطب قد تقدم كثيراً هذه الأيام».

تنهدت سامانثا في محنة وشعرت بالحزن

«هذا ما كنا نردده دائماً بالنسبة لوالدنا أليس كذلك يا ليزا. ولكن ماذا حدث»

واكتسى وجه ليزا الجميل بالحزن وامتلأت عيناها بالدموع وهي تقول:

«لماذا تقولين ذلك الآن يا سام، أنت تعرفين أن ذلك يسبب لي الحزن فأنا لا يمكنني أن أفكر في أن أبي...»

وانحدرت الدموع من عينيها الجميلتين، فأخرجت منديلاً من حقيبتها وأخذت تمسح عينيها فقالت سامانثا في محاولة لتهدئتها:

«آه آسفة يا ليزا، لقد نسيت أن الحديث في هذا الموضوع يحزنك. والآن تعالي معي إلى المطبخ لنعد بعض القهوة».

قالت سامانثا ذلك وهي تدفع باب المطبخ الذي لم يكن به أحد في ذلك الوقت، فقد كانت السيدة كمبل مشغولة ببعض الأعمال في الطابق العلوي وبعد أن انتهت سامانثا من إعداد القهوة ملأت ثلاثة أقداح أخذت أحدها واتجهت بها إلى الطابق العلوي وهي تقول:

«سأحمل هذا القدح للسيدة كمبل فهي من الطراز الذي يتفانى في عمله، ولن

تفكر أبداً في التوقف ولو قليلاً لاحتساء فنجان من الشاي أو القهوة لتنشيطها».

وتوجهت سامانثا إلى حيث توجد السيدة كمبل في الطابق العلوي، التي تقوم بتنظيف إحدى الغرف بالمكنسة الكهربائية. وكانت السيدة كمبل سيدة ريفية قوية البنية من الطراز الذي لا يحب أن يضيع الوقت في الحديث، وعندما قدمت لها سامانثا فنجان القهوة علت وجهها ابتسامة من ابتساماتها النادرة وهي تقول:

«شكراً يا آنسة هولند أرجوك أن تتركي الفنجان فوق الطاولة».

قالت السيدة كمبل ذلك ثم استغرقت في عملها من جديد.

وعندما عادت سامانثا إلى المطبخ كانت ليزا تجلس إلى الطاولة الخشبية الكبيرة التي تتوسطه، وقد عادت إلى طبيعتها المرحة من جديد، وعندما جلست سامانثا نظرت إليها وهي تقول:

«إنني آسفة حقاً يا سام لأنني نسيت كل شيء عن العم إدوارد. وأرجو ألا تعتقدي أنني لا أهتم به».

«طبعاً يا ليزا».

ونظرت سامانثا إلى أختها وهي تبتسم. كان من الصعب على أي شخص أن يغضب من ليزا فترة طويلة.

ثم سألت ليزا:

«ولكن ماذا ستفعلين بدونه يا سام؟»

قطبت سامانثا شفتيها وهي تقول:

«لا أدري. إنها مشكلة فعلاً، فالفرقة لا يمكن أن تمضي بدونه ولو كان ريتشارد موجوداً هنا لاختلف الأمر وربما أمكننا المضي في العمل حتى يتماثل العم إدوارد للشفاء. ولكن العم إدوارد يرفض تماماً أن نبلغ ابنه بأمر مرضه أو الجراحة التي أجريت له، وقد أخذ مني وعداً بذلك لأنه يعرف مدى اهتمام ريتشارد بعمله في أمريكا الجنوبية، ومدى أهمية وجوده مع الأستاذ هايز

فهو يعتقد أن مثل هذه الفرصة قد لا تتاح له بعد ذلك.

وظهر عدم الاقتناع على وجه «ليزا» وهي تقول:

«إن المسألة ليست متعلقة بالمسابقة، ولا أدري ما أهمية البحث طوال النهار في أماكن ما قبل التاريخ والكهوف القديمة والمقابر إنه شيء ممل.»

وردت «سامانثا» وهي تضع بعض الفطائر أمام «ليزا» على المائدة:

«إن الأمر لا يبدو كذلك بالنسبة لـ«ريتشارد». فهو مهتم جداً بعلم الحفريات ولو أنه لم يتوصل حتى الآن إلى شيء يذكر.

على أي حال أعتقد أنه آن الأوان ليعود إلى المدرسة ليتولى العمل بدلاً من والده حتى يقابل لمشكلتنا هنا هو الحل الوحيد.»

«ربما. ولكن لا يمكنه العودة الآن لأن العم «إدوارد» يعتقد أن «ريتشارد» لن يتمكن من تحقيق آماله لو أنه تخلى عن عمله مع الأستاذ «هاملر» ليتحمل بالتدريس وهو يريد أن يحقق «ريتشارد» كل ما يريده قبل العودة إلى المدرسة حيث سيكون من الصعب عليه عمل أي شيء آخر. وأنت تعرفين أن مهنة التدريس تستغرق كل الوقت، والعم «إدوارد» يريد أن يفعل «ريتشارد» كل ما يحلو له وقته وهو مازال شاباً.»

وضحكت «ليزا» بخبث وهي تقول:

«أعتقد أنني أعرف طرقاً أفضل من ذلك يمضي بها أي شاب وقته.»

ثم نظرت إلى أختها بطرف عينيها وهي تقول:

«أنا آسفة يا «سام» ما كان يجب أن أقول ذلك. ولكن «ريتشارد» يبدو شاباً رزيناً للغاية أليس كذلك؟ في أي حال سنتحدث بالنسبة للفترة الدراسية القادمة.»

وبدا القلق على وجه «سامانثا» وهي تجيب:

«لا أدري حقاً يا «ليزا». إنها تبدو مشكلة كبيرة. ليس من السهل في الظروف العادية الحصول على الشخص المناسب ليشغل منصب المدرس بالذات الآن ولقد

أوشك العام الدراسي على الانتصاف. إن العثور على مثل هذا الشخص الآن يبدو مستحيلاً. وخاصة يجب أن يكون متخصصاً على مستوى الدولية. فلا سيما من التلاميذ يحضرون الآن الدراسات العليا. في أي حال سيحضر أحد الأشخاص هذا المساء وسيكون علي أنا مقابلته والتحدث معه عن أمور المدرسة.»

ثم ابتسمت «سامانثا» في نوع من السخرية وهي تضيف:

«إنه وضع غريب حقاً أن أقوم أنا كمديرة المدرسة بهذه المهمة، مع الشخص الذي من المفروض أن يكون المدير الجديد ولكن لا بد من قيامي بهذه المهمة من أجل العم «إدوارد».»

وبدا الاهتمام على وجه «ليزا» وهي تسأل:

«ومن هو هذا الرجل، هل تعرفينه يا «سام»؟»

«لا، لم أره من قبل، ولكنني سمعت العم «إدوارد» يتحدث عنه كثيراً من قبل، وعرفت منه أنه كان طالباً عندما كان العم «إدوارد» يلقي محاضراته في الجامعة منذ بضع سنوات. واستمرت الاتصالات بينهما منذ ذلك الوقت. ولكن يبدو أنه سيشغل منصباً في إحدى المدارس الكبرى في شهر أيلول القادم. ولكن ليس لديه أي ارتباط في الوقت الحاضر وهو يقيم في «فرنسا». اتصل به العم «إدوارد» هاتفياً قبل توجهه إلى المستشفى لإجراء الجراحة، ووافق على الحضور إلى المدرسة هذا المساء. وأنتظر حضوره فعلاً.»

وسألت «ليزا» وهي تمتد نحو المائدة لتأخذ بعض الفطائر:

«وما اسم هذا الشخص؟»

«رويل.. آدم رويل.»

أجابت «سامانثا» وهي ترفع فنجان القهوة إلى فمها ولكنها أنزلته بسرعة بعد أن لاحظت الضيق الشديد الذي طرأ على «ليزا» وقد امتقع وجهها بصورة واضحة عند ذكر اسم «آدم رويل». وسألت «سامانثا» في حرج:

«ماذا حدث يا «ليزا» هل تعرفين شيئاً عن هذا الشخص المدعو «آدم رويل»؟»

وازداد وجه «ليزا» امتقاعاً ثم علاه شحوب شديد وهي تقول:

«نعم أعرف عنه الكثير وما أعرفه لن يسرك أبداً».

ثم فجأة التفتت تقول لأختها:

«لا يمكنك يا «سام» أن تسمحي لمثل هذا الشخص الفظيع بالحضور إلى هنا للعمل في المدرسة، أعتقد أنه يجب عليك أن تبحثي عن شخص آخر».

وقطبت «سامانثا» جبينها وردت بهدوء:

«ولكن يا «ليزا» أليس من الأفضل أن تهدئي قليلاً وتوضحي لي الأمر أين قابلت «آدم روديل»؟»

وبدت «ليزا» وكأنها تجاهد لاستعادة هدوئها، ونجحت في ذلك فقد ردت في صوت بدا هادئاً وطبيعياً:

«كان ذلك منذ زمن بعيد لا يهمني ما قلت يا «سام»».

ثم أضافت بعد أن أخذت رشفة من فنجان القهوة:

«رجوتك يا «سام» انسي كل شيء عن هذا الموضوع، كل ما في الأمر أنه كان مفاجأة لي، أن أسمع اسم «آدم روديل» يذكر أمامي بعد كل هذه المدة».

ولكن «سامانثا» ألحت في معرفة المزيد وقالت:

«ولكن يا «ليزا» أرجوك حدثيني بكل ما تعرفينه عن هذا الشخص، تعرفين أنني سأعمل معه طوال الفترة الدراسية القادمة، ويهمني معرفة المزيد عنه، ولن أشعر بالراحة أبداً حتى توضحي لي الأمر، لأنني سأظل أتساءل عما فعل «آدم روديل»».

نظرت «سامانثا» إلى أختها عبر الطاولة في انتظار المزيد من التفصيلات.

كانت «ليزا» تصغر «سامانثا» بحوالي عام واحد، والشبه كبير بينهما حتى يصعب أحياناً على أي شخص غريب أن يفرق بينهما، كانتا متشابهتين في لون الشعر الأصفر ولو أن لون شعر «ليزا» كان أفتح قليلاً، ومتشابهتين أيضاً في لون العيون الأزرق. وعلى الرغم من ذلك، كان واضحاً أن «ليزا» تتمتع بقدر أكبر من الجمال، و«سامانثا» تدرك ذلك جيداً، ولكنها كانت تحب «ليزا» حباً جماً

متسامحاً لا يتناسب مع فتاة في سن الرابعة والعشرين، وربما كان ذلك يعود إلى أن والديهما توفيا عقب ولادة «ليزا» مباشرة، مما جعل «سامانثا» تشعر بمسؤوليتها تجاه أختها بوصفها الأخت الكبرى.

وقالت «سامانثا» وهي تحاول استدراج أختها للحديث:

«والآن يا «ليزا» أخبريني ما تعرفينه عن أمر «آدم روديل»».

«أنت دائماً تحصلين على ما تريدينه يا «سام»».

وشدت «ليزا» شعرها بطريقة يائسة واستطردت تقول:

«إن هذه المسألة لا تعنيني الآن بصفة شخصية، ولذا لم أكن أود أن أحدثك عنها، ولكني أمام إلحاحك أجد نفسي مضطرة للحديث».

واستطردت «ليزا» قائلة:

«لقد حدث ذلك خلال الصيف الذي سبق زواجي من «روبرت»، عندما كنت أنت في «لندن» تتلقين تدريبك على أعمال السكرتارية، في ذلك الوقت أقام العم «إدوارد» والعمة «بيتي» مباراة التنس في المدرسة خلال العطلة الصيفية، وطلبا مني اختيار إحدى الصديقات معي لتكمل العدد اللازم، وبالفعل اصطحبت معي إحدى الصديقات وأفضل ألا أذكر اسمها فأنت لا تعرفينها، وكانت هذه الصديقة تقيم مع بعض أقاربها في البلدة هنا خلال العطلة، ونشأت بيننا صداقة، وبعد انتهاء العطلة عادت إلى بلدتها التي أعتقد أنها كانت «نورويتش».

في ذلك الوقت تصادف وجود «آدم روديل» في البلدة، وكان العم «إدوارد» قد دعاه للحضور إلى المدرسة، وحاول «آدم» خلال إقامته بالبلدة بكل الوسائل، إيقاع صديقتي في حبائله وقد نجح في ذلك بالفعل، وتعلقت به صديقتي إلى درجة الجنون، وكانا يشاهدان معاً دائماً في الصباح وفي المساء وربما.. لست أدري.. واستمر الحال بينهما عدة أسابيع، ثم فجأة وبدون أية مقدمات اختفى «آدم» من المنطقة، وغادر البلدة وتركها بعد أن حطم قلبها تحطيماً بكل بساطة».

مسابقة الغابة.

وأنهت سامانثا شرب القهوة وهي تقول:

حتى أنني على شكرك لك يا ليزا لتحذيري من أم رويل ولكني لا أرى أن هذه المسألة سيكون لها أثر بالنسبة لحضوري إلى هنا وليس من المحتمل أبداً أن يتكرر ما حدث مع صديقتك هنا في المدرسة. فإن مثل هذا الأمر لا يمكن أن يحدث مثلاً مع الآنسة بيل أو الآنسة تراب. أما بالنسبة إليّ فأنني لست من طراز الفتيات اللواتي يقدمن على الانتحار بسبب قصة حب فاشلة.

والمهم من ذلك أنك ستنصحين لي بالحضور إلى المدرسة بعد كل ما عرفت عنه؟ هل تعتقدين أنه تصرف حكيم؟

وضحكت سامانثا وهي تقول:

حقاً يا صغيرتي إنك تبدين اهتماماً أكثر من اللازم بهذه المسألة وفي أي حال ليس في وسعك يا ليزا أن تعرفين أن العم ادوارد هو الذي اختار أم رويل وغيره من المعلمين وكل ما يعنيني هو العثور على شخص مناسب ليحل مكان العم ادوارد حتى يتماثل للشفاء التام. ويبدو لي أن أم رويل مناسبة تماماً من الناحية الأكاديمية لتولي منصب المديرة.

ووقفت ليزا وأخذت تنفض من ملابسها وهي تقول:

حسناً في هذه الحالة لن أحضر إلى المدرسة أبداً طوال فترة وجود أم رويل هنا وأؤكد لك ذلك يا سام.

ورأت سامانثا في لهجة عنيدة:

سأحضر أنا لأراك يا ليزا. وستحكي لي عن القلوب التي حطمتها أم رويل في المدرسة.

فقالت ليزا وهي تهم بالخروج:

حسناً يا سام. يمكنك أن تحضري كما تشائين، ولكنك ستدركين بنفسك أنني كنت على حق. عندما تعرفين من هذا الشخص الخطير أم رويل محطم

القلوب، والتي لا قلب له على الاطلاق.

قالت ليزا ذلك واتجهت إلى الباب وهي تقول:

يجب على الذهاب الآن فقد يحضر أم رويل في أي لحظة.

ووقفت سامانثا على الباب الأمامي للمدرسة، تودع ليزا وهي تبتعد في سيارتها السبور البيضاء، ثم عادت وقد بدا عليها التفكير العميق، واتجهت إلى غرفة السكرتيرة لتستأنف من جديد عملها في تلك الغرفة، وأخذت تفكر في كل ما قالته ليزا عن أم رويل.

عندما حل وقت الغداء كانت سامانثا قد انتهت من عملية الاطلاع على [illegible] ملف [illegible] أيضاً [illegible] أغلقت الغرفة ثم توجهت إلى المطبخ حيث تناولت غداءها واتجهت إلى غرفتها بعد ذلك لتستعد لاستقبال أم رويل.

كانت سامانثا حتى قبل مجيء ليزا تفكر في مسألة حضور أم رويل إلى المدرسة بشيء من القلق. فلم يكن من السهل عليها أن تقبل تواجد شخص غريب في المدرسة، [illegible] طوال الفترة الدراسية القادمة لم تتعود على التعامل مع أي شخص غريب ولم يكن من السهل عليها ذلك، خاصة بعد تعاملها مع العم ادوارد الذي كانت طريقته في التعامل مع جميع أفراد هيئة [illegible] كان إلى جانب [illegible] تامة للمشاكل التي يتعرض لها التلاميذ وهيئة المدرسين، ولذلك فإنه لم يكن من السهل أبداً على سامانثا تقبل فكرة حلول شخص آخر مكان العم ادوارد، وخاصة إذا كان هذا الشخص غريباً.

ولكن لا بد للأمور أن تمضي في المدرسة على أكمل وجه، تحت إشراف المدير الجديد حتى يتماثل العم ادوارد، ويعود لمزاولة عمله. وأخذت سامانثا تفكر في الطريقة التي يمكنها أن [illegible] للظهور [illegible] أم رويل على مسرح الأحداث في المدرسة، لأن أحداً من هيئة المدرسين لم يكن يعرف شيئاً عن مرض العم ادوارد، فقد فضل ألا يخبرهم بأمر مرضه إلا بعد انتهاء

وركّز الرجل يحدق فيها كأنه لا يصدق عينيه، ونظرت "سامانثا" إليه
بثبات. كان جذاباً لولا هذه التقطيبة التي تعلو وجهه، وهو من الطراز الذي تلفت
رجولته الأنظار. وعلى الرغم من محاولتها الاحتفاظ بهدوئها، إلا أنها كانت تشعر
بالدماء تندفع إلى وجنتيها. وفي اللحظة التي بدأت تشعر بأنه لن يمكنها الصمود
أكثر من ذلك، عاد فقطب حاجبيه وقد هدأت نبراته وهو يقول:
- شيء غريب حقاً. نفس الشكل، ونفس الاسم
واستطرد معتذراً:
- أرجو أن تعذريني إن بدر مني أي تطفل
وقال متسائلاً:
- هل لك أخت توأم؟
وتذكرت "سامانثا" سريعاً. لا بد أنه خلط بينها وبين "ليزا". فالشبه كبير
بينهما وقد مضى على لقائه بها بضع سنوات. وربما كانت فكرة أنه ليس هناك
احتمال لحضور "ليزا" إلى المدرسة ورؤية "آدم" لها قد شجعها لتعيد هذه الذكرى
الأليمة، واكتفت بأن تقول أن لها أختاً توأماً.
وهز الرجل كتفيه ووجهه ما زال يتطلع بالحيرة وقال:
- لا بأس. أكرر أسفي لما حدث فقد كنت واهماً بالتأكيد.
ولاح شبح ابتسامة على شفتيه
ونظرت "سامانثا" إليه. كانت عيناه سوداوين يشع منهما بريق أخاذ،
ورموشه كثيفة، وعندما يبتسم كان يغمض عينيه بطريقة كسولة وقالت
"سامانثا": ومن تكون له علاقة بالعم "إدوارد"؟
- لا عليك من هذه الأشياء. كثيراً ما أحببت التطفل بالجلوس.
وجلس "آدم" أمامها وبدا عليه أنه يريد التحدث مباشرة في الموضوع الذي
أتى من أجله وقال:
- أعتقد أنه من الأفضل أن نتحدث فوراً في التفصيلات. أنت...

- "سامانثا فولر" سكرتيرة المدرسة.
- آه، نعم "سامانثا".
وردد الاسم وهو ساهم، ونظر إليها مرة أخرى وكأنه يريد أن يتذكر شيئاً ثم قال:
- في الحقيقة لا أكاد أعرف شيئاً عن المدرسة. لقد مضى زمن طويل منذ حضوري
إلى هنا.
قال هذا والتفت إليها سريعاً. هل ما زال يظن أنها "ليزا"؟ رأتها ترفض
الاعتراف بذلك!
- وكم مضى عليك في العمل هنا يا آنسة "فولر"؟
وردت "سامانثا":
- عملت سكرتيرة هنا لمدة أربع سنوات، ولكنني أعيش في المدرسة منذ فترة
طويلة.
وبدت الحيرة على وجهه وهو يقول:
- وكيف حدث أنني لم أقابلك من قبل عندما استضافني السيد "فولر" منذ أربع
سنوات لمدة شهر تقريباً؟
- لا أظن ذلك. ففي هذا الوقت كنت في "لندن" أتلقى دورة تدريب على أعمال
السكرتارية.
ورجع بمقعده إلى الخلف وهو يقول:
- هذه مصادفة غريبة. في أي حال إن الفتاة التي خلطت بينك وبينها لا يمكن أن
تصبح سكرتيرة في مدرسة، ولا أعتقد أن لديها القدرة على ذلك.
وارتاحت "سامانثا" إلى فكرة أنه لن يثير هذا الموضوع مرة أخرى وسألته من
جديد عما يريد معرفته من أمور المدرسة.
وسألها عن العم "إدوارد" وظهر القلق واضحاً على وجهه وهو يستمع إليها
فأدركت على الفور مدى اهتمامه به. وبعد فترة قصيرة التفت إليها فجأة قائلاً:
- والآن هيا إلى العمل. أريد أن تزوديني بكل التفصيلات الممكنة عن العمل

واستطرد يقول:

«لقد أوضحت في أكثر من مناسبة أنك لا تهتمين بي، ولكن لا داعي لأن تتعمدي الفرص لتؤكدي لي هذا الرفض. في الحقيقة أفضل هذا الشعور من الشك الذي يحول بيني...»

وسكت قليلاً ثم قال:

«والآن هل أوضحت موقفي؟»

وشعرت «سامانثا» بدمائها تغلي في عروقها، ولكن كان عليها أن تحاول التعامل مع «آدم» بأي طريقة خلال الشهور القادمة، إكراماً للعم «ادوارد» وعليها أن تكون على الأقل مهذبة معه.

ورفعت «سامانثا» عينيها فالتقتا بعيني «آدم» وبدا أقوى اتجاهها الشعور بالضعف الشديد إزاء نظراته الثاقبة العجيبة.

وردت في لهجة حاولت أن تظهر خالية من أي تهكم:

«نعم يا سيد «آدم» أعتقد أن كل شيء واضح تماماً.»

وابتسم «آدم» وتركها وهو يقول:

«حسناً، أعتقد أن الأمور ستمضي بيننا على ما يرام. والآن هل يمكنك أن ترافقيني إلى جناحي؟»

وصحبته «سامانثا» وهي تقول إن العشاء سيكون معداً في تمام السابعة، وأشارت إلى خزانة بالغرفة وهي تقول:

«ستجد هنا ما يلزمك من مشروبات.»

واتجه «آدم» إلى حيث أشارت «سامانثا» وأخرج زجاجة وهو يقول:

«والآن لنشرب نخب تسلمي العمل.»

«شكراً يا سيد «آدم» أعتقد أن الوقت ما زال مبكراً بالنسبة إليّ لتناول الشراب.»

ونظر «آدم» إلى ساعته، ثم رفع عينيه ونظر إليها وابتسامته تتراقص على شفتيه ثم قال:

«حسناً في أي حال لن أعتبر هذا موقفاً منك.»

وبعد تفكير قليل وجدت «سامانثا» أنه ليس من حقها التعامل معه بهذه الطريقة، فتقدمت إلى الطاولة حيث أخذت الكأس التي ملأها وقال «آدم» وهو يرفع كأسه وينظر في عينيها:

«نخب المزيد من التفاهم بيننا.»

وردت «سامانثا» النخب بصوت خافت، وأسرعت بشرب كأسها وغادرت الغرفة وهي تفكر فيما حدث. كانت المرة الأولى التي تفقد فيها «سامانثا» أعصابها، ولكنها تعتقد أن «آدم» من الطراز الاستفزازي من الرجال.

واتجهت «سامانثا» إلى مكتبها حيث حاولت الاتصال «بليزا» هاتفياً ولكنها لم تفلح. ربما خرجت إلى غرفتها لتغير من مظهرها قبل الحضور إلى العشاء. لم يكن من عادة «سامانثا» أن تبدل ملابسها قبل العشاء في أوقات العطلات، إلا إذا حضر أحد الضيوف، ولكن الأمر يختلف الليلة مع وجود «آدم رويل» وداخلها شعور بالتحدي وهي تنتقي أجمل ثيابها. لا بد أن تبدو جذابة فإن هذا الشعور سيمنحها الثقة في نفسها لتواجه «آدم». وتطلعت «سامانثا» إلى مظهرها في المرآة قبل أن تغادر غرفتها وشعرت أنها على استعداد لمواجهة «آدم» وابتسامته الساخرة.

واتجهت «سامانثا» إلى المطبخ، كانت رائحة الطعام الشهية تفوح منه وكانت السيدة «كبيل» تقف وقد ارتدت ثوباً وردي اللون بدلاً من الثوب الأزرق الداكن الذي اعتادت ارتداءه، وأطرت «سامانثا» السيدة «كبيل» لاستحسانها لثوبها قائلة:

«إنه جميل يا عزيزتي.»

ثم انشغلت في إعداد الطعام وهي تسأل «سامانثا» عما إذا كانت ستقوم بإبلاغ «آدم» بأن العشاء معد. وقبلت «سامانثا» منها أن تبلغه ذلك بنفسها وعلى الرغم من أنه كان هناك اتصال بين المطبخ وجناح العم «ادوارد» فلم تكن

تمتمت الشابة بنفسها قائلة:

«سأجعله ذلك حفلي هنا في المرة الأولى التي يحدث فيها لقاؤنا.»

واتجهت سامانثا إلى غرفة الطعام التي تطل على ملاعب التنس. كان المكان معداً لشخصين، ولاحظت أن كل شيء في مكانه، وأخذت تتساءل عما إذا كان من الواجب تقديم الشراب لآدم على العشاء. في هذه اللحظة سمعت وقع أقدامه وهو يدخل إلى الغرفة.

لاحظت سامانثا أنه بدل ملابسه، وارتدى حلة داكنة اللون مع رباط عنق زاهي، وبدا جذاباً للغاية. وقال آدم وهو يتجه إليها:

«تبدين كمضيفة. هل تنتظرين أحداً على العشاء؟»

وتحركت سامانثا إلى الطاولة وهي تقول:

«لا يوجد غيرنا الليلة.»

ولم تدر ماذا تقول بعد ذلك. كانت تشعر بالحيرة في مواجهة آدم. فقد تعودت الصراحة في تعاملها مع الناس ولكنها شعرت أن الوضع يختلف مع آدم. ثم قالت وهي تحاول أن تكون لطيفة:

«كنت أتساءل إذا كان من الواجب أن أقدم لك الشراب.»

وظهرت الدهشة على وجهه وبدا وكأنه يفكر وهو يلتفت إليها قائلاً:

«هذا شيء جميل، ويجب أن أعترف بذلك. ولكن ما هي المناسبات التقليدية في الأسرة لتقديم الشراب؟»

«أعياد الميلاد ورأس السنة، والمناسبات الخاصة.»

«حسناً، إنه ليس عيد ميلادي ولا أعتقد أيضاً أنه عيد ميلادك. ولهذا اقترح اعتباراً من الليلة مناسبة خاصة إذا كنت تتفقين معي في ذلك.»

«هذا شيء عليك أنت أن تقرره.»

«لا، هذا من اختصاصك كسيدة.»

قال آدم ذلك ونظر إليها بطريقة عابثة، فشعرت بدقات قلبها تسرع

وبذلت جهداً كبيراً وهي تحاول إبعاد عينيها عن عينيه الآسرتين وقالت:

«أنا على يقين من أن العم ادوارد كان سيقدم لك الشراب طبقاً لعاداته في الأسرة.»

ورفع آدم حاجبيه في دهشة قائلاً:

«العم ادوارد؟ لم أكن أعرف أن هناك صلة قرابة بينكما.»

ردت سامانثا بسرعة:

«لم أقصد ذلك تماماً. إن ادوارد باركر كان صديقاً حميماً لوالدي الذي توفي فجأة منذ بضع سنوات.»

ولاحظت سامانثا لمحة من الحزن تكسو وجه آدم، فاستطردت تشرح له العلاقة بين العم ادوارد ووالدها.

وبعد فترة من الصمت هز آدم رأسه بأسف وهو يقول:

«لا أنكر أن السيد باركر قد عني لي شيئاً من هذا القبيل، إنه شخص عظيم.»

وخيم الصمت من جديد، وشعرت سامانثا في هذه اللحظة تماماً بحزن آدم، فقد كانت تسترجع صورة العم ادوارد وهو على سريره بالمستشفى.

وأخيراً قطع آدم الصمت وهو يقول:

«لقد سألت عنه في المستشفى ويبدو أنه في حالة جيدة.»

وأخذ آدم ينظر إلى سامانثا بانتباه وهي تتحدث عن العم ادوارد، وقد لمعت عيناها الزرقاوان، وقال أخيراً:

«أعتقد أننا وجدنا مناسبة نحتفل بها معاً. فلنذهب إلى القبو لاحضار زجاجة.»

وذهبت معه سامانثا وفتحت الباب وأضاءت النور وهي تحذره من درجات السلم المتآكلة. ونزل آدم أولاً وبعدما وصل إلى النهاية نظر إلى أعلى وهو يقول:

«انتبهي إلى هذا الحائط حتى لا يتسخ رداؤك الجميل.»

ما كاد آدم ينطق بذلك حتى زلت قدم سامانثا فسندها آدم بذراعيه

٣ ـ مشاعر غريبة

جلست "سامانثا" و "آدم" يتناولان العشاء وقال "آدم" وهو يلتهم الطعام بشهية:

- إن الشخص الأعزب هو وحده الذي يدرك مدى جودة الطعام المنزلي.

وسألته "سامانثا" عن مكان إقامته وهي تأمل ألا يكون سؤالها شخصياً فأجاب "آدم":

- ليس بعيداً عن المدرسة، إنني أقيم في كوخ صغير في "كوتسوولدز".

ثم استطرد يقول:

- لقد تركته لفترة، خلال وجودي في "باريس"، حيث كنت أقوم بأبحاث خاصة بالكتاب الذي أقوم بتأليفه.

وسألته "سامانثا" عن موضوع الكتاب بعد أن بدا الود واضحاً بينهما.

كما بدا على "آدم" وكأنه أعجبه تحاورها معه مرة ثالثة:

- الموضوع قد لا يعجبك، إنه عن التعليم.

كانت "سامانثا" بالفعل لا تهتم كثيراً بهذا الموضوع، ولكنها ردت بأدب:

- لا بد أنه موضوع مسلٍّ.

- وإنه كذلك بالنسبة إليّ فأنا أهتم دائماً بالبحث عن نشأة الأشياء، وهذا ما يتناوله كتابي، إنه يدور حول نشأة التعليم في "أوروبا".

انتبهت "سامانثا" إلى حديثه فقد كانت تهتم بالتاريخ، وتواصل الحديث بطريقة طبيعية، وانطلقت "سامانثا" تتحدث على سجيتها ولم تكن تدري هل كان ذلك بسبب الشراب أو لأن الموضوع أعجبها.

وبدا "آدم" وكأنه يشعر بالراحة، وكانت عيناه تبرقان تحت رموشه الكثيفة. وتذكرت "سامانثا" في هذه اللحظة ما قالته "ليزا" في إحدى المرات من أن إتاحة الفرصة للرجل ليتحدث في الموضوع الذي يشغله، هي إحدى وسائل التقرب إليه. إن "ليزا" دائماً تهتم بالحديث عن العلاقة بين الجنسين، وكانت دائماً وتعد نفسها خبيرة بهذه الأمور، ولم تكن "سامانثا" تود التقرب إلى "آدم"، ولكنها كانت تريد أن تقيم معه علاقات طيبة لمصلحة العمل.

واستطردت "سامانثا" تسأل:

- هل تسمح لي بقراءة بعض ما كتبت، إلا إذا كنت تكتب للمتخصصين فقط.

- بالطبع لا، إن هدفي هو إتاحة فرصة للقراءة للجميع. وكم أود أن أجرب مدى نجاحي في ذلك معك يا "سامانثا".

احمرت "سامانثا" قليلاً لدى سماعها "آدم" وهو ينطق باسمها مجرداً لأول مرة وفي هذه اللحظة دخلت السيدة "كنينج" الغرفة وبدأت في رفع بقايا الطعام وبعد أن شكرها "آدم" التفت إلى "سامانثا" مستأذناً في الانصراف ليراجع أبحاثه.

وقالت وهي تودعه:

- لقد أسعدني حديثك عن الإمبراطور "شارلمان"، وأنا على يقين من أن كتابك سيكون رائعاً.

ونظر إليها "آدم" بطريقة ذكرتها بما قاله من قبل، من أنه لا يحب المجاملات السخيفة، وحاولت أن تقول شيئاً آخر ولكن الكلام لم يسعفها فسكتت وودعت "آدم" على أن يلتقيا في الصباح.

واتجهت "سامانثا" إلى غرفتها وقد اقتنعت تماماً بأن "آدم" ذو شخصية

وجلست سامانثا ويدها على مفتاح السيارة وهي تفكر ثم هزت رأسها في حيرة وأدارت المفتاح وخرجت من المستشفى.

كانت سامانثا تريد أن تمر بمنزل ليزا في طريق عودتها إلى المدرسة، ولم يكن منزلها في تلك الطريق فقد كان يبعد بضعة أميال عن البلدة، ولكنها كانت تريد الاطمئنان عليها، خاصة وأنها أقسمت ألا تحضر إلى المدرسة خلال فترة وجود أمه بها.

كانت سامانثا تعتقد أن ليزا تبالغ كثيراً بالنسبة إلى موقفها من أمه خاصة وأن المسألة لم تكن متعلقة بها هي شخصياً ولكنها سرعان ما استعادت في ذهنها صورة أختها، وقد اكتسى وجهها الجميل بهذا التعبير الفظيع عندما نطقت أمامها باسم أم رويل. كما أن سامانثا لم تنس أيضاً التعبير الذي ارتسم على وجه أمه عندما خلط بينها وبين ليزا.

كان منزل ليزا يقع في ضاحية جميلة رائعة تكتنفها الأشجار من كل جانب. ووقفت سامانثا أمام الباب الأمامي للمنزل الأنيق الذي تقيم به أختها وراحت تدق جرس الباب، ولما لم تتلق رداً فقد اتجهت إلى الحديقة الخلفية، حيث وجدت ليزا وزوجها يجلسان متلاصقين في استرخاء ثم نظرت سامانثا إليهما وهي تحدث نفسها بأنه شيء جميل حقاً أن يجلسا على هذه الصورة بعد ثلاث سنوات من الزواج.

وأصابها في هذه اللحظة شعور أشبه بالغيرة.

واتجهت سامانثا ناحيتهما ولكنها توقفت في ارتباك شديد. فقد اكتشفت أن الرجل الذي يجلس إلى جانب ليزا واضعاً ذراعه حول كتفيها لم يكن زوجها.

وفوجئت ليزا بوجود أختها، ولكنها تمالكت نفسها سريعاً ونهضت واقفة واحتضنت سامانثا بين ذراعيها في سرور واضح وهتفت:

- سام يا لها من مفاجأة جميلة، ولكن لماذا لم تبلغيني بمجيئك. لقد انتهينا أنا وروي للتو من تناول الشاي. تعالي واجلسي معنا.

ولفتت ليزا الرجل إلى أختها قائلة:

- سامانثا، روي مالوري صديق روبرت، لقد حضر لزيارته ولكنه للأسف سافر. وروبرت في ألمانيا حتى عودته من مانشستر، وشعرت بالقلق الفظيع وتمكنت بعد جهد من اقناع روي بالبقاء معي لتناول الشاي.

ثم التفتت ليزا سامانثا إلى روي الذي مد اليها يده مرحباً، وتمتمت سامانثا ببعض الكلمات رداً على مجاملاته التي وجهها اليها وحاولت أن تبدو طبيعية بقدر الامكان ثم قالت ليزا بمرح:

- تعالي يا سام سأحضر لك بعض الشاي.

وجلست سامانثا وسحب روي مقعده وهو يجلس ليبعده قليلاً عن مقعد ليزا وردت سامانثا بسرعة:

- لا شكراً يا ليزا لن يمكنني البقاء طويلاً فقد كنت في طريقي من المستشفى وأردت الاطمئنان عليك. حاولت الاتصال بك هاتفياً مرتين ولكنني لم أتلق رداً.

وردت ليزا وهي ترفع فناجين الشاي:

- ربما كنت بالخارج، وكيف وجدت الرجل المسكين.

- تقصدين العم ادوارد؟

قالت سامانثا ذلك في لهجة جافة، وكانت تشعر بالاستياء من موقف أختها، فلكل منهما طريقتها الخاصة في الحياة وفي التعامل مع الناس، ولكنها شعرت أن الفجوة تزداد اتساعاً بينهما وأجابت ليزا في تهكم:

- نعم عزيزي العم ادوارد.

ثم نظرت إلى روي قائلة:

- إن أختي سام تعمل في مدرسة ابتدائية، ومديرها موجود حالياً بالمستشفى.

وردت سامانثا:

- لقد تحسنت صحته قليلاً ولكنه يمر في حالة شديدة من الاكتئاب. والآن يجب أن أذهب فوراً فلدي الكثير لأفعله ولم أحضر الدرس الجديد.

«سأحدد علبك لتساعدني في هذا الوقت إذا اقتضى الأمر إلا إذا وجب الرؤية الأكيدة أو السكرتيرة الآنسة.»

قال آدم ذلك والتفت إلى الفتاة قائلاً:

«أليس كذلك يا استيل؟»

والتفتت الفتاة في رشاقة مصطنعة وقالت في دلال:

«أنت على حق دائماً يا آدم.

حسناً قلت يا عزيزي.»

والتقت نظراتهما في لحظة ود.

كان من الواضح أن العلاقة بينهما وثيقة، وشعرت سامانثا بضيق لم تدر سببه. كانت تأمل ألا يحاول آدم أن يصحب صديقته إلى المدرسة ثانياً، وخاصة أنها لن تكون من طراز استيل التي لم تشعر بأي ميل نحوها.

واتجه آدم صوب استيل ووضع ذراعه في ذراعها وهو يقول:

«تعالي الآن سأريك مكتبي وسنمر على المطبخ أولاً لنرى ما إذا كانت السيدة كميل يمكنها أن تقدم لنا شيئاً قبل أن أوصلك إلى المحطة.»

وتذكرت سامانثا في هذه اللحظة، قول العم ادوارد أن آدم سيتزوج عندما يجد الفتاة المناسبة. حسناً إذا كانت استيل هي الفتاة المناسبة فإنه يستحق ذلك بالفعل. أحست سامانثا أنها لامت نفسها بذلك، ثم انتبهت إلى رد الفعل العنيف الذي أحدثه لقاؤها باستيل. فهذه هي المرة الأولى التي لا تشعر فيها بالود لمن تقابله لأول مرة.

ولم تر سامانثا استيل نورتون بعد ذلك خلال اليوم، منذ مضت مع آدم على ما يبدو إلى غرفته. حيث تناولا طعام الغداء. وعندما لاحظت سامانثا بعد قليل اختفاء سيارة آدم التي كانت تقف أمام المدرسة، شعرت بنوع من الارتياح.

كانت الفترة ما بعد الظهر مزدحمة بالعمل بالنسبة لسامانثا فقد كان عليها

الاتصال هاتفياً بالمدرسين غير المقيمين بالمدرسة لحضور الاجتماع مع آدم رويل، وقد اعتذر توني ريد مدرس التربية الرياضية لارتباطه بالتدريب في نادي الاسكواش المحلي. أما المدرسات الثلاث الأخريات فقد قبلن الدعوة.

وعندما اتصلت سامانثا بالآنسة ماسون مدرسة الموسيقى جاءها صوتها المتحمس وهي تقول:

«بالطبع سأحضر فإنني أتوق إلى رؤية الرجل الجديد.»

كانت إميلي ماسون شابة جميلة، ولكنها كانت تشك في أن آدم رويل سيرتبط بها بما لم يكن يجعلها انشغال فيها لتبين أن استيل نورتون هي طراز المفضل من الفتيات.

ولم ينقطع رنين الهاتف في مكتب السكرتيرة. فقد كان أولياء أمور التلاميذ يريدون الاستفسار عن بعض الأمور وخاصة إمكانية رؤية المدير الجديد وكان هذا شيئاً طبيعياً بالنسبة لمدرسة صغيرة مثل كينغز ورلي حيث كانت شخصية المدير شيئاً هاماً، وقد حاولت سامانثا بقدر الإمكان أن تطمئن الأهالي إلى أن كل شيء سيمضي وكأن السيد ادوارد هو الذي يدير المدرسة.

ودخلت كريستين أثناء انشغال سامانثا بإحدى هذه المكالمات الهاتفية، وقد حملت فنجاناً من الشاي إليها، وابتسمت وهي تقول:

«كيف الحال يا سامانثا، وأين هو الرجل الجديد، لم أجده بعد.

لقد جاء ولكنه ذهب ليوصل فتاة بسيارته إلى المحطة.»

وظهر الاهتمام واضحاً على وجه كريستين وهي تقول:

«فتاة؟ ربما شكلها.

كانت عادية تماماً ولكنها ذات دلال واضح، إن مظهرها لم يؤثر فيّ كثيراً.»

وشعرت سامانثا بنوع من تأنيب الضمير فقد كانت تعرف أنها لا تقول الحقيقة.

ورفعت كريستين قائلة:

«أعتقد أنه يجب أن تعتني قليلاً من مظهرك»

فنهض آدم واقفاً وهو يقول:

«هيا تعالي لتساعديني، ستكونين وصيفتي إلى جانب كونك سكرتيرتي»

وخرجا معاً واتجها إلى غرفة نومه حيث مسح عن وجهه الأقذار وهذّب شعره وأخذت سامانثا تتطلع حولها وقد انتابها شعور غريب. كانت المرة الأولى التي تدخل فيها بصحبة رجل إلى غرفة نومه. وأفاقت سامانثا من أفكارها وشعرت أن الأمر يبدو طبيعياً بالنسبة إلى الظروف الحالية، وصممت على مقاومة انفعالاتها.

أخذت سامانثا تساعد آدم في تنظيف ثيابه وركعت على ركبتيها لتتمكن من تنظيف سرواله من الأوحال اللاصقة به، وعندما انتهت من ذلك نظرت إلى أعلى وقد ظهر المرح في عينيها وهي تقول:

«مكان المرأة الطبيعي على ركبتيها أمامك، أليس هذا هو رأيك؟»

فانفجر آدم ضاحكاً وهو يقول:

«ولكن هذا لا ينطبق عليك، فأنت لن تخضعي أبداً لرجل»

قال ذلك وهو يمد يديه ليساعدها على الوقوف، وشعرت سامانثا لحظة أنها تكاد تلتصق به، ثم قال بصوت رقيق:

«شكراً يا سامانثا والآن هيا إلى العشاء، وأرجوك أن تحاولي الاعتذار عن تأخري بأي سبب لأنني لا أريد التحدث عمّا حدث الليلة على الأقل»

وبدا عليه التفكير وهو يقول:

«لا أعرف ما إذا كانت السيول قد هدأت بمطاردة، فقد وقع الحادث أثناء توجهها إلى المحطة، كانت سعيدة الحظ فلم يحدث لها أي شيء، ولم تتأثر بما حدث، وتمكنت من إيقاف إحدى السيارات لتقلها إلى المحطة، أما أنا فقد كان علي أن أنتظر رجال الشرطة ربما إلى ذلك في مثل هذا الموقف»

وقالت سامانثا وهي تحدث نفسها ربما كان آدم يقدّر موقف السيل

بأنه يريد أعصابه ولكنها كانت تعتقد أنه ينطوي على القوة وكانت سامانثا في هذه اللحظة لا تحصر استحيل إلى المدرسة مرة أخرى، فقد شعرت أن ظهورها من جديد على مسرح الأحداث سيؤثر على الاستقرار التي كانت تريد أن تخلقه في المدرسة أثناء فترة تغيب العم ادوارد.

واتجهت سامانثا و آدم بعد ذلك إلى غرفة الطعام حيث يوجد الجميع وبدا واضحاً منذ البداية أن آدم حاز إعجاب الجميع، وخاصة الجنس اللطيف ولاحظت سامانثا النظرات المختلفة التي كانت الفرنسيات ينظرن بها إلى آدم وهو يقف إلى جانب الثالثة يتحدث مع السيد جوزي.

وقالت كريستين التي كانت تقف إلى جانب سامانثا:

«أرى الآن ماذا كنت تعنين بجاذبيته التي لا تقاوم»

ونظرت سامانثا إلى الجميع حولها لقد نجح آدم في الظفر بإعجاب الفرنسيات بدون استثناء وقد بدا عليهن الانفعال والمرح، ووجدت سامانثا نفسها تبتسم وهي ترى التأثير الذي أحدثته شخصية آدم في هذا الجمع من النساء ولكن، ألم تتأثر هي أيضاً بشخصيته؟

واعتذر آدم وأبدى رغبته في الانسحاب ووقف قليلاً أمام سامانثا وهو يخرج من الغرفة قائلاً:

«أرجوك أن تمري علي في جناحي فإنني أريد التحدث معك»

وانسحبت سامانثا بعد قليل معتذرة بأن لديها عملاً تريد إنجازه واتجهت إلى مكتبها، لقد شعرت برغبة شديدة في الانفراد بنفسها قليلاً، واستغرقت في تفكير عميق. إنها لن تسمح لآدم بالتأثير عليها ولن تسمح لقلبها بالتعلق به، فهي تعرف بعدما سمعته من العم ادوارد و ليزا، بأنه من الطراز الذي يوصف بمحب النساء وهذا الطراز لا يفكر في الزواج ولن تكون أبداً من حريم آدم ويل، وصممت سامانثا أن تستمر العلاقة بينها وبين آدم، علاقة المدير بالسكرتيرة وعليها أن تهتم بعملها وتشغل نفسها بالتفكير في ريتشارد

وبعد هذا القدر من تفكيرها رفعت «ساماثا» واتجهت الى جناح «آدم» وطرقت الباب فسمعت صوته من الداخل يطلب اليها الدخول.

كان «آدم» يجلس في استرخاء تام على مقعده الوثير، ويرتدي روباً قرمزي اللون وقد خلع حذاءه، وعندما دخلت «ساماثا» بادرها معتذراً وهو يشير الى ثيابه:

«آسف لمظهري، ولكنني شعرت برغبة في الاسترخاء بعد عناء اليوم»

ونظر اليها قائلاً:

«هل تجلسين يا «ساماثا»؟»

«شكراً»

ردت «ساماثا» في لهجة حاولت أن تكون جافة ثم سحبت مقعداً وجلست أمام الطاولة. وبدأ «آدم» الكلام:

«أردت أن أشكرك على مساعدتك في وقوفك الى جانبي»

ولما لم تجد «ساماثا» ما ترد به فقد سكتت وأخذت تتصفح إحدى المجلات الملقاة على الطاولة أمامها فاستطرد «آدم»:

«أعتقد أن الحفل قد نجح على الرغم من أي شيء.. ألا تعتقدين ذلك؟ الآن أعرف ما كنت تعنين بقولك إن الجميع يشكلون مجموعة مترابطة. إن الجو هنا يوحي فعلاً بأنه جو عائلي»

وسألت «ساماثا»:

«وهل يعجبك هذا؟»

«هل تقصدين هل غيرت من موقفي السابق؟»

ونظرت «ساماثا» الى عينيه فرأت فيهما بريقاً غامضاً وهو يقول:

«أعتقد أنه من الضروري أن أخفف من موقفي قليلاً. إذا كان علي أن أقوم بعمل في سهولة الى حين عودة السيد «باركر» حقاً إن هذه الفكرة لا تروقني ولكنني أشعر أنني مدين للسيد «باركر» بالكثير ولن أخذله. يبدو لي أنه أكثر

من مدير المدرسة إنه يقوم بدور الأب أيضاً»

«أعتقد ذلك، ولكن ألا ترى أن هذا واجب للدور الكبير؟»

فأجاب في لهجة تهكمية:

«يجب أن أفكر في ذلك. فإن الفرصة لم تتح لي من قبل للقيام بدور الأب، ولا أعتقد أنه سيتاح لي مثل هذه الفرصة لفترة طويلة قادمة»

ووجدت «ساماثا» نفسها تتساءل إذا كان «آدم» قد تعود على ترديد مثل هذه التعليقات الغريبة حتى لا يحسن فهمه ثم قالت:

«حسناً إني سعيدة لقرارك بتغيير موقفك وأنا على يقين من أن كل شيء سيمضي بطريقة سهلة»

«كل شيء؟ لا أعتقد ذلك»

«أقصد بالنسبة للكتاب الذي تقوم بتأليفه. لقد نسيت كل شيء عنه»

وبدا «آدم» مشغول الذهن وهو يتكئ الى الخلف في مقعده، وقد وضع ساقاً على ساق. كانت «ساماثا» تشعر بعينيه تتفحصانها، ولكنها صممت على ألا تنظر اليه. وبعد فترة قال:

«إذا كان علي أن أقوم بدور الأب فلن يكون لدي وقت فراغ لأعمل في كتابي، وفي هذه الحالة ليس أمامي سوى حل واحد ولذلك طلبت منك الحضور»

ونظرت «ساماثا» اليه نظرة سريعة، ولكنها حولت عينيها بعيداً عندما التقت بعينيه الداكنتين.

واستطرد «آدم» يقول:

«الحل هو أن أجد من يساعدني، وأعتقد أنك تتفقين معي في الرأي على ضرورة القيام بدوري كما يجب كمدير للمدرسة»

«بالطبع أرى ذلك»

«إذاً ما رأيك في أن تعرضي مساعدتي. إن الأمر لن يتطلب منك سوى ساعتين في الساعة»

وبدأت «سامانثا» تشعر بنشوة الظفر وهي تتجمع أمام عينيها. كانت تشعر أن الأمر سيكون محتملاً بالنسبة إليها وهي تقوم بعملها كسكرتيرة. ولكن أن تقوم بعمل خاص في غرفة «آدم» ويطردها بعد فهما لهي أمر لطيف.

وكان «آدم» يراقبها باهتمام ثم نظر إلى أسفل وهو يقول:

- حسناً سأدفع لك أجراً إضافياً.

واندفعت «سامانثا» تجيب:

- يا إلهي! أنا لا أريد شيئاً من هذا القبيل فلا داعي يكلفني.

- إذاً ما المانع؟ ألا ترغبين في العمل لقاء أجر إضافي؟ أم أن في الأمر شخصاً آخر سيضايقه عملك في المساء؟

وردّت «سامانثا» بالنفي بطريقة حاسمة فاستطرد قائلاً:

- أليس لديك صديق؟

ثم استطرد بلهجة تشوبها بعض السخرية:

- إنني مندهش من موقفك هذا.

وشعرت «سامانثا» بأن كبرياءها قد جرحت فرفعت إليه وجهها وهي تقول:

- ليس في الأعياد الحالية.

- إذاً ليست هناك أية مشكلة.

ونظرت «سامانثا» إليه بشيء من الغضب وهي تود أن تقول له: إن المشكلة تنحصر في أنه يحتاج إلى الدرجة التي تجعلها تزيد من فكرة وجودها معه بمفردها وبدلاً من ذلك ردّت قائلة:

- ليست هناك أية مشكلة طالما لن يتعارض ذلك مع أعمال المدرسة.

وظهر الارتياح على وجه «آدم» فأدركت «سامانثا» مدى أهمية عمله في الكتاب بالنسبة إليه. ثم قال:

- هذا شيء رائع. هل تبدأ غداً؟ أعرف أن غداً سيكون يوماً مشحوناً بالعمل لنا جميعاً. ولكن ربما أمكننا أن نفعل شيئاً. ووقفت «سامانثا» وهي تؤكد كلامه ثم

خرجت من الغرفة.

واتجهت إلى غرفة مكتبها. كانت تشعر كمن يمشي في نومه، وصورة «آدم» ما زالت أمام عينيها. وظلت تفكر وهي في سريرها إلى أن انتزعها من أفكارها استغراقها في النوم العميق.

٥ ـ لن يحدث هذا لي

بدأ اليوم الدراسي الأول كالعادة مفعماً بالعمل، واستمر توافد التلاميذ وأولياء الأمور إلى المدرسة وازدحم البهو بالأمتعة.

وانشغل الجميع بالعمل وكان «آدم» لا يكاد يجد الوقت الكافي ليشرب فنجان القهوة التي كانت «سامانثا» تقدمه له في مكتبه بين آونة وأخرى.

كانت «كريستين» تتولى أمور التلاميذ والأمتعة، و«سامانثا» تنظم لقاءات أولياء الأمور بالمدير الجديد، وتتدخل بلباقة إذا لزم الأمر لإنهاء بعض هذه المقابلات. وأظهر «آدم» خلال مقابلاته مع أولياء الأمور قدرة فائقة على إقناعهم بأن كل شيء سيمضي في المدرسة في طريقه الطبيعي كما كانت تسير الأمور بإدارة السيد «بارت».

وبعد انتهاء اليوم الدراسي توجهت «سامانثا» إلى مكتب «آدم» تحمل له فنجاناً من الشاي وهي تقول:

«يمكنك الآن أن تستريح، فقد أمكن ترتيب كل شيء والتلاميذ في غرفهم الآن يفرغون أمتعتهم، وقد غادر أولياء الأمور المدرسة».

ورجع «آدم» بنفسه إلى الخلف قائلاً:

«هذا أمر طيب، إن أصعب شيء بالنسبة لإدارة مثل هذه المدارس الصغيرة الخاصة، هو المقابلات مع أولياء الأمور وبخلاف ذلك، كل شيء يسير وسهل

للغاية».

قال «آدم» ذلك بلهجة متعجرفة جعلت «سامانثا» تشعر أن نوازعها الطيبة تجاه «آدم» تنهار لبرهة.

«هل تعني بقولك أن هذه المدرسة صغيرة؟»

والتفت «آدم» ناحيتها حيث وقفت في مواجهته على المكتب وهو يقول:

«هل ستعطيني من جديد؟ أنت تعرفين ما حدث في المرة السابقة».

وشعرت «سامانثا» بالدماء تصعد إلى وجهها، وتذكرت في هذه اللحظة قبضة يده القوية وهي تمسك برسغها لتهددها. ولكنها عندما نظرت إليه لم تر أي أثر للغضب على وجهه هذه المرة، ولكنها لمحت بدلاً من ذلك الضحكات وهي تتراقص داخل عينيه.

وقال «آدم» وهو يشرب الشاي:

«شكراً لإحضارك الشاي، والآن يمكنك أن تطلبي من السيد «جونز» الحضور إلى المكتب في أي وقت، فإنني أريد التحدث معه قليلاً».

واتجهت «سامانثا» إلى الباب وهي ترد في برود:

«نعم يا سيد «رولينز»».

وقبل أن تصل «سامانثا» إلى الباب ناداها «آدم» وكأنه تذكر شيئاً هاماً:

«سامانثا، ماذا عن هذا المساء متى تحضرين إلى المكتب؟»

وتوقفت «سامانثا» تفكر قليلاً قبل أن تجيب:

«ربما يتأخر العشاء الليلة أكثر من المعتاد، وقد لا أنتهي منه قبل التاسعة».

«ولكن هل لديك ارتباط بعد ذلك، أقصد بالنسبة للأشياء؟»

«لا، لكن هذا لا يدخل في نطاق واجباتي، ولكنني أقدم مساعداتي فقط إذا لزم الأمر».

كانت «سامانثا» تقف في منتصف الباب الذي كان مفتوحاً وانعكس الضوء

بأنني لن أعطله كثيراً»

قالت الآنسة «بيل» ذلك وهي تتجه إلى داخل المكتب وتبعها «آدم» وهو يهز كتفيه في استسلام.

خرجت «سامانثا» إلى الحديقة حيث وجدت بعض التلاميذ بصحبة «تري» رب... مدرس التربية الرياضية الذي ما أن لمح «سامانثا» حتى اتجه إليها محييها قائلاً:

«أهلاً «سامانثا» لقد حضرت يا عزيزتي خصيصاً لرؤيتك»

ونظرت إليه «سامانثا» وهي تتحسس، كان «تري» بشعره الأحمر ولون عينيه البني الفاتح من النوع المهذار الذي يحب الغزل. وراحت «سامانثا» تتجاذب أطراف الحديث مع «تري» متسائلة:

«وماذا عن المدير الجديد، وكيف ترى شخصيته؟»

كانت «سامانثا» لا تريد أن يوجه إليها أحد مثل هذا السؤال فلم يكن لديها إجابة له فضحكت وهي تقول:

«إنه شاب غير أنيس من الممكن أن يكون صعباً في بعض الأحيان»

وهز «تري» رأسه وهو يقول:

«أعرف ما تعنين، سأكون على حذر»

وفي هذه اللحظة رأت «آدم» وهو يقترب منها بقامته الفارعة وشعره الفاحم يتموج مع النسيم، ولقد انعكس ضوء الغروب عليه واكتسبت عيناه تلك النظرة الساحرة.

وخفق قلبها بشدة واندفع الدم إلى وجهها خجلاً منه. «آدم» لينضم إلى صحبتهما وبعد أن تحدث «تري» إلى «آدم» تركتهما يتحدثان عن الرياضة وعادت سريعاً إلى الداخل.

والتقت في طريقها الآنسة «ترايب» تدخل إلى الحديقة وزعقت عند رؤيتها بالبهجة إلى «سامانثا» وهي تقول:

«سأقوم بمساعدة التلاميذ في وضع المشروع»

ووقفت «سامانثا» تراقب الآنسة «ترايب» وهي تعبر الملعب وتتجه ناحية «آدم» الذي كان قد أنهى حديثه مع «تري»، واقتربت منه ووقفت معه، وسرعان ما أخذا يتبادلان الحديث، وكان واضحاً لـ«سامانثا» أن الآنسة «ترايب» كانت تقوم بالجانب الأكبر من الحديث، ولاحظت أن «آدم» كان يلتفت بين آونة وأخرى إلى الداخل ولكن كان من الواضح أنه لا يستطيع التخلص من الآنسة «ترايب».

وانصرفت «سامانثا» إلى غرفتها وهي تتذكر قول الحب «العابد» إن الفتيات يحمن حول «آدم» مثل الفراشات حول الضوء.

وبعد العشاء طلبت «كريستين» من «سامانثا» أن تمر عليها في غرفتها كما تعودت أن تفعل من قبل، ولكنها شعرت بالتردد في هذه المرة وقالت في شيء من التهكم:

«إلا إذا حضرته يريد مني أن أساعده في عمله هذا المساء، وكان علي أن أعتذر بذلك وإلا فلن يكون لديه الوقت الكافي لإدارة المدرسة»

قهقهت «كريستين» قائلة:

«أظن ذلك فلن الشابات هنا لن يتسع له الوقت الكافي»

وأخذت «كريستين» تخبر «سامانثا» بالأخبار الرائعة التي تتبعها التلميذات للتحدث إلى «آدم» وبعد أن مضت «كريستين» جلست «سامانثا» مع الآنسة «بيل» ترتشف القهوة، وكانت تلقي نظرة بين لحظة وأخرى إلى ساعة يدها وأخيراً اقتربت الساعة من الثامنة والنصف، فنهضت واقفة وبعد أن اعتذرت بانشغالها بالعمل اتجهت إلى مكتبها لتطمئن إلى مظهرها في المرآة قبل التوجه إلى جناح «آدم».

طرقت «سامانثا» الباب وجاءها صوت «آدم» من الداخل يدعوها إلى الدخول.

كان «آدم» يجلس خلف الطاولة الكبيرة الموجودة بالغرفة محاطاً بأكوام من

وتوقعت سامانثا أن يغضب آدم غاضباً، ولكنه لم يفعل بل أخذ يحدق فيها وهو يطلب منها ان توضح له ظروف فورزجيل. وحكت عليه سامانثا كيف أن فورزجيل لقد أصيب في حادث طائرة وأن هذا الحادث أثر فيه الى درجة كبيرة. وبعد أن انتهت سامانثا من حديثها نظرت الى وجه آدم فرأته وقد زال عنه الغضب وسمعها صوته غريباً وهو يقول:

«حقاً إن شيئاً لا يمكن أن يعوض تلك الأيام».

قال آدم ذلك في لهجة جعلتها تشعر أنه لا بد وأن يكون مر بتجربة مماثلة وبعد لحظة ابتسم آدم قائلاً:

«لقد كنت على حق يا سامانثا ربما كانت حيوانات فورزجيل من الناحية الانسانية أهم من كتابي».

ثم نهض واقفاً وهو يقول:

«ما رأيك في أن نخرج ونشارك الجميع في عملية البحث عنها».

ونظرت اليه سامانثا وقد لمعت عيناها في امتنان وهي تقول:

«شكراً يا سيد رويل».

ونظر اليها آدم قائلاً:

«قد يكون من الأنسب أن تناديني بآدم خصوصاً في غير أوقات العمل».

كان آدم يقف خلفها وهي تجلس على المقعد حتى تكاد تشعر بحرارته الصوفية وهي تلامس ذراعها العاري، فخفق قلبها بشدة. كانت سامانثا تريد أن تنظر خلفها ولكنها خشيت لو فعلت ذلك في هذه اللحظة، أن تجد نفسها في مواجهة آدم وهي تكاد تلتصق به مما سيسبب لها حرجاً شديداً. ولم تكن سامانثا تشعر بمثل هذا الشعور مع أي رجل آخر في مثل هذا الموقف فالأمر يختلف تماماً مع آدم.

وشعرت سامانثا بيد آدم تلمس كتفها فانتفضت وابتعدت بسرعة عن مقعدها وقد شعرت باضطراب شديد ورأت وجه آدم وقد ارتسم عليه

تعبير غريب فنظرت اليه وهي تتساءل في بلاهة

«ماذا... هل حدث شيء؟»

«أنت تعرفين تماماً ماذا حدث، إنك فتاة مختلفة حقاً يا آنسة نورث وما أنا إلا رجل تحتل قلبي مشاعر الرجل كأي انسان».

ثم لوى شفتيه تعجباً وقال:

«أعتقد أنه من الأفضل أن نسرع بالخروج لنبحث عن الحيوانات».

ومد يده فأمسك بيدها وجذبها من فوق المقعد ودفعها صوب الباب وهو يضحك قائلاً:

«اخرجي الآن. الأمان أولاً. هذه هي القاعدة الذهبية عندي».

وحاولت سامانثا أن تتماسك. فقد كانت هذه التجربة التي تمتزج فيها المرح بالمواقف المحرجة، شيئاً جديداً عليها تماماً فإنها لم تعرف من قبل رجلاً مثل آدم رويل. وأخذت تسائل نفسها إذا كان من الأفضل لو أنها استمعت الى تحذير ليزا ولكن يبدو أنه وجدت الرد السريع على هذا السؤال. فقد نظرت الى آدم وابتسمت له برقة شديدة وهي تسير بجانبه صوب الحديقة.

وعندما وصلا اليها كانت عملية البحث عن الحيوانات على أشدها. وقد اشتركت فيها كريستين والآنسة بيلي التي كان صوتها يعلو على أي صوت آخر.

وعندما رأى فورزجيل آدم يقترب بدا عليه الخوف الشديد واندفع اليه قائلاً وهو يلهث:

«أنا آسف يا سيدي، ولن يحدث هذا مرة أخرى».

وأعقب ذلك فترة صمت وترقب قطعها آدم في صوت تعمد أن يكون جافاً وهو يوجه حديثه الى الطفل:

«فورزجيل هل تأكدت من إغلاق الحظيرة بعد ظهر اليوم»

وفي الضوء الخافت استطاعت سامانثا أن ترى وجه الطفل، وقد علاه

الخوف الشديد وهو يرد بعصبية بالإيجاب.

واستطرد «آدم» بنفس اللهجة:

«وعندما عدت في المساء وجدت القطعة مفتوحة وقد هربت الحيوانات.»

فأجاب الطفل بالإيجاب، وأعقب ذلك لحظة صمت أخرى قبل أن يسأل «آدم»:

«وكيف تفسر ذلك؟»

وبدا الحزن على وجه «فورزجيل» وهو يرد قائلاً:

«لا أدري يا سيدي. لا بد وأن هناك خللاً بالباب.»

«هل تعتقد أن شخصاً تعمد فتح الباب؟»

«لا يا سيدي، لماذا يريد أي شخص أن يفعل ذلك؟»

وهز «آدم» رأسه وهو يقول:

«حسناً، يجب أن تبحث عن الحيوانات وتحاول أن تعثر عليها.»

وصاح «فورزجيل» في مرح قائلاً:

«هل تعني يا سيدي أنه يمكنني الاحتفاظ بها؟»

«بالطبع ولكن يجب أن تضعها في مكان مأمون آخر.»

وابتسم «آدم» للطفل الذي اندفع راكضاً ليبحث عن حيواناته وشعرت «سامانثا» بالارتياح، لقد نجح «آدم» في أول مواجهة له مع تلاميذ المدرسة وكانت تعتقد أن العم «إدوارد» نفسه ما كان يمكنه أن يعالج هذه المسألة بطريقة أفضل.

وقال «آدم» بعد انصراف «فورزجيل»:

«إنه فتى مدهش حقاً، لقد أتحت الفرصة لـ«فورزجيل» لأن يلقي مسؤولية ما حدث على غيره، ولكنه لم يفعل. أعجبني موقفه جداً لأن أكثر ما يعجبني في هذه الحياة هو الصدق والأمانة.»

وقالت «سامانثا»:

«إن العم «إدوارد» يكون سعيداً في قبره.»

«ربما رأيته يا «سامانثا» هل تفتقدين شيئاً؟»

كان سؤاله غريباً فنظرت إليه لترى عينيه وقد صوبهما إلى وجهها في اهتمام شديد وكأن ردها يعني الكثير له.

وشعرت «سامانثا» في هذه اللحظة أن «آدم» كان يمكن أن يكون محامياً ناجحاً لو أنه لم يعمل بالتدريس. وردت قائلة:

«بالطبع إنني أتفق معك.»

كانا يسيران ببطء شديد وهما يقتربان من فريق البحث عن الحيوانات المشاركة في مهمته، ثم توقف «آدم» فجأة ووقف أمام «سامانثا» وأخذ ينظر إليها في صمت وقد علت وجهه تعبيرات غريبة وقد استغرقه التفكير وبدا وكأنه نسيها تماماً. قالت «سامانثا» بلهجة مازحة:

«ألم يحن الوقت بعد لأن تبحث الحيوانات؟»

وأفاق «آدم» من تفكيره وابتسم ضاحكاً وهو يقول:

«آسف لقد سرحت بتفكيري بعيداً. تعالي الآن وأراهنك أنني سأكون أول من يعثر عليها.»

٦ ـ مؤامرة على الحب

مضت عشرة أيام على بدء الدراسة، وكان الوقت مساء وقد جلست سامانثا مع كريستين في غرفتها تتجاذبان أطراف الحديث وقالت كريستين وهي تصب القهوة:

«هذه المرة الأولى يا سامانثا منذ عشرة أيام لا يكون لديك عمل في المساء. إن هذا الرجل يرهقك كثيراً».

وجلست سامانثا على مقعدها في استرخاء وحاولت أن تبدو كأنها تفضل أن تقول الى كريستين في ترقب على أن تعمل مع ادم وقالت:

«لقد منحني راحة هذا المساء لأنه ذهب لزيارة العم ادوارد الذي قد يغادر المستشفى في الأسبوع المقبل. أتمنى هذا وأتمناه».

«لقد تحسنت صحته أسرع مما كان متوقعاً. ولكن أظن أنه سيقضي فترة النقاهة في منزله الريفي في ديفون، ولو أنه يفضل العودة الى المدرسة، وأعتقد أن وجوده هناك في هذا الوقت من العام سيفيده كثيراً وقد يشفى سريعاً ليعود الى المدرسة في بداية الفترة الدراسية القادمة».

وبدا على سامانثا التفكير لأن عودة العم ادوارد يعني رحيل ادم، وهي لا يمكن أن تتخيل المدرسة بدونه فقد كان الأثر الذي أحدثته شخصيته في كل ما حوله قوياً الى درجة لا يمكن تجاهلها.

وجلست كريستين في مواجهة سامانثا وبدا عليها التردد وهي تقول:

«تبدين مرهقة الليلة يا سامانثا. ألا تعتقدين أنك تجهدين نفسك بالعمل أكثر من اللازم... ما كان عليك قبول العمل الاضافي في المساء».

وهزت سامانثا كتفيها وهي ترد قائلة:

«لم يكن أمامي خيار. إن كل ما يهمني هو أن تمضي الأمور على ما يرام وفقاً لما يحدث ما لم أوفر لادم الوقت الكافي لادارة المدرسة، فهو يهتم بكتبه الى درجة كبيرة، وأعتقد أنه لو خير بين مصلحة المدرسة والانتهاء من كتابه لاختار كتابه».

«لا بد أنه شخص أناني».

«ليس كذلك... ربما كنا أنانيين في أحيان كثيرة. أظن أنه على حق في موقفه هذا فقد اضطر الى قبول العمل في المدرسة».

وبدا على سامانثا وكأنها تحاول الدفاع عن ادم.

وسألت كريستين:

«ألا يمكنه جمع الأوراق بنفسه؟»

«إن مساعدتي له توفر له الكثير من الوقت، وأعترف أنني أشعر بالارهاق في أحيان كثيرة ولكن موضوع الكتاب يهمني. أنت تعرفين أنني أحب كل ما يتصل بالتاريخ».

وردت كريستين وهي تضع بعض الفطائر أمام سامانثا:

«نعم أعرف ذلك وحاولت أكثر من مرة مناقشة ريتشارد حول المحاضرات التاريخية».

وشعرت سامانثا عند ذكر ريتشارد بنوع من تأنيب الضمير فهي لم ترسل له رسالة حتى الآن، وأخذت سامانثا تحدث كريستين عن كتاب ادم في حماس شديد، ويبدو أنها انتبهت الى ذلك فابتسمت في خجل وهي تقول باسمة: «يبدو أنني انفعلت قليلاً».

ونظرت كريستين الى صديقتها وقالت في لهجة حاولت أن تبدو بريئة

«هل كان المتقدم من أهل الكتاب فقط أم لا. يكون سؤال غريباً ولا تظني
أني أستغل صداقتي لك لأجرؤ على التدخل في خصوصياتك».
وارتبكت سامانثا لدى سماعها هذا السؤال، فقد كانت كريستين
صديقتها حقاً ولكنها كانت تعرفها بطوال عشر سنوات، كما أنها كانت أكثر منها
خبرة بالحياة ولا يمكن أبداً أن يكون هذا السؤال بريئاً. وعليها أن تفكر كثيراً قبل
أن ترد في هدوء.
«نعم في الحقيقة كان من أهل الكتاب فقط كما أعترف أن آدم رجل شخص
جذاب للغاية، ولكن أي فتاة ذكية لا يمكن أن تجهل هذه الجاذبية طويلاً أعني قد
ولا تعرضت للمتاعب».
وظهر القلق في عيني كريستين وهي تقول:
«إذا كان هذا رأيك. ألا تخشين أن العمل معه طوال هذه الساعات في المنزل
سيسبب لك المتاعب؟»
«لا... لا أعتقد ذلك، فهو يستغرق تماماً في عمله حتى ينسى وجودي معه في
المنزل».
وكانت سامانثا على حق، لأن معاملة آدم قد تغيرت تماماً منذ أول يوم
عملا فيه معاً، وكان مهذباً جداً معها وبدا واضحاً أنه يحاول وضع حاجز بينهما.
وبعد فترة من الصمت سألت سامانثا
«والآن ماذا عن أخبارك، هل حددت موعداً للزواج؟»
واستغرقهما الحديث في هذا الموضوع إلى أن حل وقت النوم فغادرت سامانثا
غرفة كريستين متجهة إلى غرفتها.
وفي الصباح بدا آدم صامتاً على غير العادة ودعا سامانثا إلى مكتبه
حيث أخذ يعرض عليها بعض الرسائل، وبعد الانتهاء من ذلك انتظرت
سامانثا قليلاً قبل أن تضع أمامه بعض الأوراق قائلة
«هذه هي الرسائل التي وصلتنا رداً على الإعلان الخاص بطلب شركة جديدة

للشركة، هل تريد أن تراها؟»
وألقى آدم نظرة عابرة على الرسالة الأولى ثم أعادها إليها باقي الرسائل قائلاً:
«من الأفضل أن تبحثي الأمر مع كريستين».
وأخذت سامانثا الرسائل ثم انتظرت قليلاً قبل أن تسأل:
«هل هناك شيء آخر؟»
ورفع آدم رأسه وقد بدا ساهماً وهو يقول:
«ماذا؟ هذا كل ما أريده».
وسألته سامانثا عن العم إدوارد فأجابها بأنه تحسن كثيراً عن المرة
السابقة وقال:
«أعتقد أنه تخطى مرحلة الخطر، أجريت له بعض الاختبارات وكانت النتيجة
مشجعة».
وساد الصمت بينهما وهمت سامانثا بالخروج وعندئذ قال آدم فجأة:
«كان السيد باركر يبدو مشرقاً وهو يحدثني عن ابنه ريتشارد».
وتساءلت سامانثا
«ريتشارد؟ وهل تعرفه؟»
«لا، إننا لم نلتق أبداً، وأتساءل لماذا لم يعد إلى الشركة خلال فترة مرض أبيه؟»
وأخبرته سامانثا كيف أن العم إدوارد يرفض هذه الفكرة تماماً ثم
أضافت:
«إن ريتشارد يختار في عمله والعم إدوارد فخور به للغاية».
ورفع آدم عينيه إليها وقال من دون أن يبتسم:
«وأنت أيضاً، أعتقد ذلك».
«وأنا؟»
ورأت سامانثا وقد شعرت بالدماء تندفع إلى وجهها وهي تتساءل ترى ماذا
أخبره العم إدوارد بشأن ريتشارد واستطرد آدم:

«فهمت من حديثي مع السيد بارنز أنك أنت وهذا الطبيب ويطالبه على وشك الارتباط بالخطوبة».

وكادت سامانثا تقول لآدم إنه لا شأن له بهذا الأمر ولكنها تذكرت قرارها الذي اتخذته بعدم المجادلة الكثيرة، سواء بالقول أو بالفعل، خاصة في موقفها هذا حيث هو مدير مدرسة وهي سكرتيرته. وقالت سامانثا في برود:

«إن المسألة لا تعدو أننا...

«أصدقاء»

فقاطعها آدم في لهجة تهكمية لونت وجهها في نوع من التحدي وهي تجيب موافقة على كلامه.

وغادرت سامانثا غرفة المكتب وتوجهت إلى غرفتها وبعد فترة مر آدم بها وهو خارج من الشكمة وطلب منها أن تحاول منع أي شخص من إزعاجه لمدة ساعة حتى ينتهي من مقابلات هذا الصباح.

فنظرت في دفتر المواعيد وهي تقول:

«الآنسة فريلز تريد مقابلتك قبل مغادرتها المدرسة. الآنسة جاكسون طلبت مقابلتك أيضاً إذا كان ذلك ممكناً».

واكفهر وجه آدم وهو يستمع إليها وبدا وكأنه على وشك أن يقول شيئاً غير لائق، ولكنه تدارك موقفه واكتفى بأن قال في لهجة واضحة وهو يغادر الغرفة:

«أعتقد أنه يمكنني ذلك».

وبعد الظهر جلست سامانثا في مكتب مواجه لغرفة المدير تراقب المدرسات وهن يدخلن إلى مكتب آدم واحدة تلو الأخرى، ولاحظت سامانثا أن المقابلات كانت تستغرق وقتاً أكثر من اللازم.

ولم يغادر آدم الغرفة بعد ذلك وفي الساعة الرابعة أحضرت السيدة كيبل الشاي ولكن سامانثا طلبت منها أن تحمله إليه بنفسها في غرفته متظاهرة بانشغالها في العمل، فقد كانت تخشى الدخول في هذه اللحظة بعد كل

هذه المضايقات التي تعرض لها.

وغادرت سامانثا مكتبها بعد قليل فقد كان عليها أن تتعرف على بعض الأمور وعندما عادت إليه رأت الآنسة بيلي تخرج من مكتب آدم وقد بدا وجهها ممتقعاً ... لتتحدث معها كما تعودت دائماً أن تفعل.

وخشيت سامانثا أن يكون آدم قد فقد أعصابه وقال لها ما لم تكن ... فاستجمعت شجاعتها وطرقت باب المكتب ودخلت.

كان آدم يجلس فوق مكتبه ووجهه ينذر ببوادر عاصفة من الغضب، ونظر إليها نظرة سريعة وهو يقول في لهجة تنطوي على الضيق:

«ماذا هناك؟»

وأجابت سامانثا في صوت حاولت أن يكون هادئاً تماماً:

«هل يمكنني فحص الأوراق الخاصة بتقارير التلاميذ؟ فهي هنا وأعرف أنه لم يكن لديها منها العدد الكافي في العام الماضي».

وتوقفت سامانثا فجأة عن الحديث لقد دفع آدم مقعده إلى الخلف في غضب شديد ونظر في وقاحة متناهية:

«تعرفين هذا العمل ما يرضيني. كيف لي أن أعرف شيئاً عن هذه التقارير؟ فأنا لست أمين مكتبة ولم أكن موجوداً هنا في العام الماضي. وأشعر في هذه اللحظة بالذات أنني لن أستمر هنا طويلاً».

وشعرت سامانثا ببرودة مفاجئة تسري في جسدها فقد كان الموقف أسوأ بكثير من كل توقعاتها، وأزعجها احتمال رحيل آدم، لأن ذلك يعني أن العم إدوارد سيضطر إلى العودة إلى المدرسة قبل فترة النقاهة، وهو ما لا يمكن أن تسمح بحدوثه أبداً.

وحاولت سامانثا تجاهل ثورة آدم وسألته بطريقة مباشرة عما حدث.

والتقط آدم مسطرة من فوق المكتب فظنت سامانثا للحظة أنه سيقذفها بها، وأخذ يحركها بعصبية بين يديه ثم قذف بها على المكتب وهو ينظر إليها

إلى المسرح. وإذا أمكننا التغلب بالفعل فإن الأمر سيبدو ممتعاً بالفعل».

وابتسم لها «آدم» بطريقة تقليدية وهو يقول:

«لا بد أن أنهي عملاً للأحياء».

ثم قال وهي تبتعد عنه متجهة إلى الباب:

«هل تحضرين في الثامنة مساء كالمعتاد؟»

أومأت برأسها بالإيجاب وهي تخرج مسرعة من الغرفة.

لقد حدث ما حدث وما عليها إلا الانتظار لمعرفة النهاية.

جلست «سامانثا» في غرفة مكتبها تفكر وهي تحدث نفسها بذلك، ودق جرس الهاتف ورفعت السماعة وجاءها صوت أختها «ليزا» وهي تقول في لهجة ضاحكة:

«أهلاً «سام» هل أنت بخير؟»

وأخذتا تتبادلان الحديث وطلبت منها «ليزا» أن تمر بها في منزلها قائلة:

«يجب أن تتصلي بي قبل حضورك، لأن «روبرت» لم يعد بعد وربما أخرج لقضاء بعض الأمور».

ووضعت «سامانثا» السماعة وهي تشعر بالقلق. لقد تعودت «ليزا» أن تتورط في متاعب كثيرة قبل زواجها من «روبرت» بسبب علاقاتها الغرامية. وازداد قلق «سامانثا» وهي تفكر في صديق «ليزا» الذي وجدته جالساً معها، خاصة وأنها تعرف زوجها «روبرت» ليس من النوع المتساهل.

وفي اليوم التالي ذهبت «سامانثا» لزيارة العم «ادوارد» لوجدته قد غادر سريره وجلس في مقعد مريح بجوار النافذة.

وانحنت عليه تقبله، ثم سحبت مقعداً وجلست إلى جانبه وأخذا يتبادلان أطراف الحديث. وربت العم «ادوارد» على يدها في حنان وهو يسألها:

«كيف تسير الأمور في المدرسة وهل تمضي الأمور بينك وبين «رويل»؟ لا بد أنه يفتقدك كثيراً فقد أخبرني أنك تساعدينه في [illegible]».

وأخذ العم «ادوارد» يسألها عن موقف «آدم» من التلاميذ، وكيف يتعامل

معهم. وردت عليه والرجل الشاب يستمع إليها، وتطرق الحديث بينهما فسألها إذا كتبت «لريتشارد» رسالة، وترددت «سامانثا» وهي تجيب:

«لم أرسل إليه منذ فترة طويلة فقد كنت مشغولة للغاية خلال الفترة الماضية، ولكنني سأفعل ذلك قريباً».

كانت «سامانثا» تشعر أن العم «ادوارد» يريد أن يحدثها عن علاقتها «بريتشارد» ولكنها حاولت أن تغير مجرى الحديث وقالت بطريقة حاولت أن تبدو عارضة:

«لقد أخبرتني «ليزا» أنها التقت «بآدم رويل» في مباراة للتنس نظمتها لجنة ما في المدرسة منذ بضع سنوات».

ورد عليها العم «ادوارد» وكأنه لا يتذكر شيئاً ثم قال لها وهو يتذكر ما حدث أن «ليزا» حضرت فعلاً إلى هذه المباراة وكانت معها صديقة تدعى «غيليان كارترايت».

وكانت «سامانثا» تريد معرفة المزيد من التفصيلات، ولكنها لم تجرؤ على توجيه الأسئلة. وفي طريق عودتها إلى المدرسة مرت «سامانثا» بالمسرح في «ستراتفورد» حيث حجزت تذكرتين وسارت قليلاً على قدميها قرب النهر وهي تراقب البجع يسبح على صفحته وأخذت تسترجع ما قاله العم «ادوارد» بشأن مباراة التنس، مما يؤكد لها قصة «ليزا».

وتوجهت «سامانثا» فور عودتها إلى حجرة «كريستين» التي ابتدرتها قائلة:

«أين كنت يا «سامانثا»؟ إن السيدة «كنيل» كانت تبحث عنك».

«مضيت لزيارة العم «ادوارد» وأحضرت هذه التذاكر».

قالت ذلك وهي ترفع التذكرتين في يدها لتراها «كريستين» وبعد أن نظرت «كريستين» إليها جيداً قالت:

«مكان ممتاز في الصفوف الأولى. لا أعتقد أنك ستذهبين مع إحدى الصديقات».

«لا بل سأذهب مع «آدم رويل» نفسه».

وظهرت الدهشة على وجه كريستين وهي تقول:
يا للسيد روبن! هذه مفاجأة حقاً. لهيت منذ أيام...
فأجابتها سامانثا قائلة:
ليس الأمر كما تظنين إن المسألة لا تعدو أن تكون خطة دبرتها وسأحتاج إلى مساعدتك.
وراحت سامانثا تقص على كريستين جميع التفصيلات وأظهرت كريستين تفهمها للموقف ولكنها قالت:
أي امرأة تتمنى أن رجلاً مثل مستر روبن يقبل هذه الخطة. لا بد وأن يعترض أولاً على العقبات، ولكني لا أشعر بالارتياح يا سامانثا وما زلت أحذرك إياك أن تلعبي بالنار.
وعندما حان موعد العشاء لاحظت أن الجميع بدأوا يتهامسون بلهجة تعاليها مع آدم إلى المسرح، ولاحظت الزوجات وهن ينظرن إليها من طرف خفي.
قالت بيل موجهة الحديث إلى سامانثا:
سمعت أنك ستذهبين إلى المسرح مع مدير الفرقة لمشاهدة مسرحية ماكبث وسوف نذهب نحن الاثنين الآنسة راسب وأنا، وستكون مصادفة سعيدة أن نلتقي هناك.
وشعرت سامانثا بشيء من الاضطراب الممزوج بالعطف لهذه الآنسة بيل لقد ضاعت هذه الفتاة الكثير من سنة الأمل في حياتها وقد بلغت الآن الثلاثين من عمرها وقضت شبابها في رعاية والديها العجوزين، وبدأ اليأس يتطرق إلى قلبها وهي تبحث عن رجل يحبها.
وعندما ذهبت سامانثا إلى غرفة آدم في المساء أخذت تقص عليه ما حدث على مائدة العشاء. فقد تحول عشاء في المكتب حيث كان يعمل، وأخذا يتضاحكان حول هذه القصة وأخيراً استجمعت سامانثا شجاعتها وسألته قائلة:

ولكن، هل حقاً تكره النساء إلى هذه الدرجة؟
وابتسم آدم ابتسامة عريضة وهو يجيب:
ليس هذا صحيحاً فأنا لا أكره النساء ولكني لا أثق بهن قطعاً.
وبدا عليه وكأنه لا يريد الخوض في هذا الحديث، فأخرج حافظة نقوده من جيبه ليدفع لها ثمن تذاكر المسرح وأخذ يراقبها لفترة ثم قال:
آسف يا سامانثا لم أكن أقصد بهذا الكلام.
وهزت سامانثا رأسها وهي تقول:
حقاً لا يهم، ولكني أشعر بالأسف لك وكنت أفكر في أبيات الشعر التي كان الشاعر لورد بيرون ينشدها دائماً.
وطلب منها آدم بصوت رقيق أن تسمعه هذه الأبيات واستجمعت سامانثا ذاكرتها وأخيراً أخذت تردد أبيات الشعر وهي تنظر إلى سقف الغرفة وكانت الأبيات تقول:
رأيت زهوراً تنمو في بقاع صخرية
وأعمالاً مجيدة يقوم بها رجال ذوو وجوه قبيحة
والكأس الذهبية دق بها أسوأ الخمور
وانتظرت سامانثا لحظة، ولما لم يعلق آدم بشيء، غادرت الغرفة وأغلقت الباب وراءها في هدوء.

٧ ـ تلّة العناق

كان جرس المدرسة يصدح معلناً انتهاء الفترة الأخيرة قبل عطلة نهاية الأسبوع وسمعت سامانثا وهي تجلس في مكتبها قرقعة باب قاعة الألعاب الرياضية قد فتح وأصوات أقدام التلاميذ في أحذيتهم الرياضية تتدافع على الأرض الخشبية في بهو المدرسة. وأخذت أصوات التلاميذ الصغار تتعالى فيما يشبه الضجيج، وأخذت سامانثا تسائل نفسها ماذا حدث حتى يترك تيري ريد مدرس الألعاب الرياضية التلاميذ هكذا بدون إشراف. لتصل أصواتهم إلى غرفة المدير الجديد!

وقد حدث هذا بالفعل، فقد فتح آدم رسل باب غرفة مكتبه الملحقة بـ غرفة السكرتيرة وهو يتساءل في غضب:

«ما الذي يحدث في الخارج؟ وأين هو تيري ريد؟»

وبما أن هذه المسألة لم تكن تخص سامانثا في شيء، فإنها لم ترد على آدم. وبعد لحظة سمع صوت تيري ريد في البهو وهو يأمر التلاميذ بالاصطفاف في الحال وسمع صوته وهو يقول:

«من فتح باب قاعة الألعاب الرياضية قبل أن أصدر أوامري بذلك؟»

ثم سمع صوت ضربة خفيفة كما لو كان أحد التلاميذ قد عوقب. ثم خفتت أصوات التلاميذ وسكنوا وكأن ريد قد أمكنه السيطرة على الموقف وعاد

التلاميذ إلى القاعة.

ووقف آدم بباب الغرفة يرهف السمع ربما اطمأن إلى أن ريد قد تمكن من السيطرة على التلاميذ فقال:

«يبدو أن ريد قد تمكن من معالجة الموقف ولذلك فإنني لن أوبخه على ذلك. ولكنني لن أسمح بعد ذلك أبداً بأن تحدث مثل هذه الأمور في المدرسة وخاصة داخل البهو الرئيسي»

وساد المكان الصمت من جديد وتوجه آدم إلى مكتبه ولكنه توقف فجأة كمن سمع صوتاً غريباً يأتي من خارج المكتب، فنظر إلى سامانثا متسائلاً وهو يقول:

«ما هذا؟ هل هو مواء قطة؟ هل تربون قطة داخل المدرسة؟»

فردت سامانثا قائلة:

«ربما تكون قطة ضالة، فقد ماتت القطة العجوز التي كانت في المدرسة العام الماضي»

ثم سمع نفس الصوت مرة أخرى فقال آدم:

«لا نريد قططاً ضالة في المدرسة»

وفتح آدم باب المكتب وتبعته سامانثا إلى الخارج وهما يبحثان عن مصدر الصوت الغريب.

وفجأة سمعت سامانثا صوت آدم الذي كان يبحث في أحد الأركان المظلمة من البهو وهو يسأل في دهشة:

«ما هذا؟ ماذا تفعل هنا يا جيمس؟»

وخرج من أحد أركان القاعة شبح طفل قصير يرتدي ملابس الألعاب الرياضية وهو يرتعد أمام آدم وعرفت فيه سامانثا جيمس ابن كريستين حكيمة المدرسة.

ثم سمعت سامانثا آدم وهو يسأل في شيء من العطف:

«حسناً بك يا جيمس هل أنت مريض؟»

ورد في تلعثم بالنفي وهو يحاول ابتلاع دموعه.

«إذاً ماذا تفعل هنا في هذا الركن المظلم من الممر وأنت ترتدي ملابس الرياضة؟»

وبدا واضحاً أن جيمس كان يحاول الاختباء في أحد الأركان، ولكنه لم يتوقع أن يعثر عليه ناظر المدرسة آدم.

«تعال الآن يا جيمس أريد أن أعرف الحقيقة.»

وبدا الارتباك والخوف واضحين على جيمس وهو يحاول استجماع شجاعته ثم قال في تلعثم:

«لا بد أنني سقطت على الأرض يا سيدي.»

«سقطت على الأرض؟»

قال آدم وهو لا يصدق قول جيمس ثم أضاف:

«تعال يا جيمس لا بد أن تبحث عن قصة أخرى تبرر بها وجودك هنا.»

«إنني لا أكذب يا سيدي لقد كنا نركض جميعاً كما ترى واصطدمت بأحد التلاميذ ثم.. ثم.. سقطت على الأرض وارتطم رأسي بالحائط وبقيت في مكاني.»

ووقف آدم ينظر إليه للحظة ثم سأله:

«هل تعتقد أن أحداً من التلاميذ قد تعمد ضربك؟»

«لا يا سيدي. لقد سقطت، وهذا كل ما في الأمر.»

«حسناً، ولكن هل تشعر بألم؟»

«لا يا سيدي، إنني بخير الآن.»

فقال آدم وهو يحدثه برفق:

«إذاً عد الآن إلى زملائك في قاعة الألعاب الرياضية.»

وبدا على جيمس التردد للحظة، وبدا كأنه يريد أن يقول شيئاً ولكنه عدل عن رأيه ومشى ببطء متجهاً إلى القاعة.

وبعد أن مضى جيمس سأل آدم سامانثا وقد بدا عليه التفكير العميق:

«مسكين جيمس يبدو كالأرنب المذعور، هل هو جديد في المدرسة؟»

«لا، إنه ليس جديداً. لقد حضر في الفترة الدراسية السابقة، ولكنني أعتقد أنه لم يتأقلم بعد. فهو تلميذ حساس للغاية، وهو ابن كريستون مكتبة المدرسة. أعتقد أنك تعرف ذلك.»

«نعم أعرف ذلك، وأعرف أيضاً أن والدته على وشك الزواج من شخص آخر غير والده. إنني أقدر شعوره فلا بد أنه يشعر بالاضطراب.»

ثم أضاف آدم وهو يبتسم:

«والآن بدأت أفهم الوضع. أليست لدى هذا الصغير المسكين أية هوايات؟ ألا يحب الألعاب الرياضية؟»

«لقد فهمت من كريستون والدته أنه لا يحب الألعاب الرياضية على الإطلاق. ولكنه يهتم كثيراً بكل ما يتصل بعلم الكيمياء، ولكنه كما ترى ما زال طفلاً صغيراً لا يمكنه دراسة الكيمياء حتى ينتقل إلى الفصل التالي.»

ووقف آدم يحدق من النافذة لبعض الوقت وقد وضع يديه في جيبي بنطلونه ثم التفت إلى سامانثا قائلاً:

«سأحاول التحدث مع السيد ... مدرس العلوم عن جيمس لعله يمكننا السماح له بقضاء بعض وقت فراغه في المعمل لمشاهدة بعض التجارب.»

ثم أضاف آدم وقد بدا الحزن على وجهه:

«إنني لا أحب رؤية أحد الأطفال يبدو تعيساً كما يبدو هذا المسكين الآن.»

وكان آدم يتحدث في لهجة من يعرف تماماً معنى أن يكون الطفل تعيساً. ولأول مرة وجدت سامانثا نفسها تتساءل عن طفولة آدم ووبل وعلاقته بأسرته.

وبعد فترة قصيرة، استعاد آدم طبيعته كمدير للمدرسة وسأل سامانثا:

ورنت سامانثا بالإعجاب وهي متعجبة لأن السيد جونز لم يذكر
لكريستين أن آدم رويل هو الذي اقترح عليه هذه الفكرة، وربما يكون
قد طلب إليه ذلك.

وأضافت كريستين:

إنني أشعر براحة كبيرة لذلك. فإن اهتمام جيسي بأي شيء سيساعده كثيراً في
هذه الفترة من حياته. عندما أتركه لأسافر مع هيو في رحلة شهر العسل الى
ايطاليا. انني أشعر بقلق شديد تجاه جيسي وآمل أن يتمكن من التغلب
على هذا الموقف الجديد بدون أن يحدث ذلك أي أثر في نفسه. إن جيسي كما
تعلمين حساس للغاية ولا يمكن أبداً أن أعرف شيئاً عن أفكاره أو انفعالاته
لأنه يفضل الاحتفاظ بها لنفسه.

واغرورقت عينا كريستين بالدموع وهي تضيف قائلة:

أليس من المخجل حقاً أن يبني إنسان سعادته على تعاسة إنسان آخر؟
إنني أعرف أن زواجي سيكون بالفاجعة على جيسي رغماً عن الذي اعتقده
ولكنه على الأرجح لن يعتبر هذا الأمر بمثابة على الأقل الآن.

ونظرت كريستين الى سامانثا في توسل وهي تقول:

أرجوك يا سام الاهتمام به بعد زواجي، لا أعني أن تراقبيه ولكن كل ما أطلبه
منك هو أن يكون بخير دائماً.

أستطيع سأعمل على ذلك يا كريستين العزيزة.

وكانت سامانثا تشعر أن آدم أيضاً سيعامل جيسي بعطف وحنان
بعد ما رأت مودته منه في اليوم لكنها لم تقل ذلك لكريستين.

وبدا على كريستين أنها لا تستطيع التغلب على انفعالاتها، وهي تشكر
سامانثا على وعدها بالاهتمام بجيسي في غيابها، ثم حولت مجرى الحديث
وقالت:

والآن ماذا عن أخبارك يا سام، وكيف ستتخلصين من مورلند؟

ونظرت اليها سامانثا في بلاهة وهي تقول:

صدقيني لم أفكر في هذا الأمر.

ثم مرت بيدها على جبهتها وهي تقول:

لا أدري ما الذي أصابني اليوم.

هل يمكنني مساعدتك؟ فليس لدي ما يشغلني بعد ظهر اليوم وسأذهب الى
أوكسفورد لمقابلة هيو ويمكنني أن أوصلك الى مستر في طريقي
لتحضري السيارة.

شكراً يا كريستين تبدو فكرة معقولة.

ثم بدا عليها وقد تذكرت شيئاً.

فجأة قالت وهي تهز رأسها في يأس:

ولكن، من المفروض أن أذهب الى المسرح مساء اليوم في ستراتفورد بصحبة
آدم رويل، ولو أنني لا أعرف ما إذا كان راغباً في الذهاب معي لأنه كان
غاضباً مني أمس.

ونظرت كريستين وهي تقول:

أعتقد..

ولكنها لم تكمل حديثها لقد فتح باب غرفة المدير في هذه اللحظة وسمع
صوت آدم وهو يودع فريدي قائلاً:

أرجو أن نلتقي قريباً وسأبذل كل جهدي لمساعدة بول.

وبعد ذلك خرجت كريستين من الغرفة.

وقضى آدم بقية الصباح في اجتماعات مع أولياء أمور التلاميذ، مما أتاح
لسامانثا الوقت الكافي لنسخ الأوراق التي أملاها عليها أمس وتجهيزها في
ملفه. وحاولت سامانثا التركيز في عملها ولكن صورة آدم كانت تلح على
ذهنها ولم تفارقها لحظة وهي تقوم بالطباعة. وأخذت تسترجع في مخيلتها صورة
آدم وهو يبحث في الكتب، وهو يملي عليها مذكراته وقد انحنى عليه قليلاً

تلامس وجهه الطريقة وجديه. وكانت سامانثا تشعر وهي تقرأ ما كتبت بنفس الإثارة التي شعرت بها وآدم يملي عليها هذه الأوراق.

واستغرقت سامانثا في التفكير تماماً حتى أنها لم تشعر بدخول آدم الى الغرفة وانتبهت فجأة الى صوته يأتي من خلفها وهو يقول:

ــ لقد رن جرس الغداء ألم تسمعيه؟

وانتفضت سامانثا والتفتت اليه بسرعة وهي تقول في تلعثم

ــ لا. لم أسمعه. إنني...

وتوقفت عن الكلام فقد شعرت بقلبها يدق بعنف كما يحدث دائماً عندما يدخل آدم الى الغرفة فجأة. وكانت سامانثا تحاول إقناع نفسها بأن ذلك ربما يعود الى شعورها برهبة آدم فقط وليس لأنها تحبه. ولكن يجب عليها التغلب على مشاعرها مهما كانت.

وقال آدم وهو ينظر الى آلة الطباعة أمامها

ــ أرى أنك تقومين بنسخ أوراقي. وأرجو أن لا تغفلي عن شيء قد يكون مهماً على الأقل بالنسبة إليّ.

ثم توقف قليلاً وهو يضيف:

ــ أعرف أنها ليست كذلك بالنسبة إليك. وخاصة بعد الطريقة السخيفة التي تصرفت بها معك أمس.

ولم ترد سامانثا. انتظر قليلاً وهو يتحاشى النظر اليها

ــ إنني آسف يا سام عما صدر مني أمس. هل تغفرين لي؟

ولم تدر سامانثا ماذا يقصد بالغفران! هل يعني أن تغفر له تشككه فيها أم عناده ولكنها ردت بالايجاب. فأياً كان الأمر فما يهم الآن هو الود الذي اتصل بينهما من جديد

وقال آدم:

ــ إنك لطيفة للغاية يا سام. كيف أعرف انك لن... ولكن... حسناً.. فلندع الحديث في هذا الموضوع الآن.

قال ذلك وهو يضع أمامها على المكتب مفاتيح السيارة. فقالت سامانثا:

ــ ولكن كريستين ستذهب الى أوكسفورد بعد ظهر اليوم وقد وافقت على أن توصلني الى مستر لأحضر السيارة.

ولكن آدم قاطعها قائلاً:

ــ إن السيارة بالجراج. لقد وصلت منذ بضع دقائق فقط.

وحدقت سامانثا في وجهه وهي تقول:

ــ لم أفهم.. كيف؟

ــ لقد اتفقت مع الكاراج في مستر على إحضارها الى هنا وكان هذا أقل ما يمكن أن أفعله. وفي أي حال سنحتاج الى سيارة الليلة للذهاب الى المسرح في ستراتفورد. وسيارتي كما تعرفين لم أستلمها بعد. متى نذهب؟ هل نذهب في السادسة والنصف؟

وهزت سامانثا رأسها وهي ترد قائلة:

ــ في السادسة والنصف.

ودخل السيد جونز الى الغرفة في هذه اللحظة وخرج مع آدم وهما يبحثان مشكلة ما.

وجلست سامانثا في كرسيها وقد شعرت براحة كبيرة. وتنفست بعمق وهي تفكر في أن التعامل مع آدم رونالد يحتاج الى جهد كبير. لأنه يشبه ركوب أحد القطارات في مدينة الملاهي. يصعد بالانسان الى أعلى ثم يهبط به فجأة الى أسفل. إنها لم تقابل في حياتها شخصاً مثل آدم رونالد. هذا الانسان المتقلب الذي يكاد يدفعها الى الجنون. ولكنه اعتذر لها وسيذهبان الى المسرح معاً.

وعندما حان موعد الغداء توجهت سامانثا الى غرفة الطعام وقد علت فمها ابتسامة رقيقة.

٨ ـ الاعتراف

في المساء أخذت «سامانثا» تستعد للذهاب إلى المسرح، وبدت وهي تنتقي أجمل ثيابها، وكأنها ذاهبة الى أول موعد غرامي لها وليس إلى المسرح مع «آدم» تنفيذاً للخطة التي اقترحتها. وبدت «سامانثا» رائعة وقد ارتدت ثوباً جميلاً من الجورجيت تهدل منسدلاً على جسمها النحيل في تموج أنيق، وشعرها الأشقر وقد صفف بطريقة أبرزت جمال وجهها.

وعندما نظرت «سامانثا» إلى المرآة تلك الليلة، أدهشها أن وجهها قد اكتسى برونق عجيب زاده جمالاً.

وبعد أن اطمأنت إلى زينتها نزلت إلى البهو الذي كان خالياً من أي شخص في ذلك الوقت.

وفكّرت «سامانثا» في أن ذلك لا يتمشى مع الخطة التي وضعتها مع «آدم» لاظهار ارتباطهما أمام الجميع، ولكن لسبب لم تكن تعرفه شعرت أنها لم تعد تهتمّ بذلك.

كان «آدم» ينتظرها بجانب السيارة وهو يرتدي حلة داكنة اللون، وشعرت بقلبها يخفق كالعادة كلما وقعت عيناها عليه، ونظر اليها «آدم» متعجباً وهو يقول:

«يا لك من فتاة جميلة، إن مظهرك رائع».

واضطربت «سامانثا» قليلاً ولكنها اغتصبت ابتسامة عريضة وهي ترد قائلة:

«ولكني لن أكون أفضل من ذلك كثيراً لو أني حاولت».

ورفع «آدم» حاجبيه وهو يقول:

«ربما من أجل «ريتشارد بارنز»».

«ربما».

قالت «سامانثا» ذلك وهي تسلمه مفاتيح السيارة ثم سألته:

«هل تتولى أنت القيادة؟»

وتوقف «آدم» قليلاً أمام باب السيارة وأخذ ينظر إليها ثم قال:

«ربما كان من الأنسب أن نذهب لمشاهدة «هاملت» بدلاً من «ماكبث» لقد كان «هاملت» يعاني أيضاً من التذبذب مع النساء».

وجلست «سامانثا» إلى جانبه في السيارة وهي تقول:

«وكنت أتساءل إذا كان من الأفضل لو أننا عرضنا على الآنسة «بيلي» والآنسة «تراسي» توصيلهما معنا الى المسرح».

قالت «سامانثا» ذلك في محاولة منها لمعرفة ما إذا كان «آدم» ينظر إلى خروجهما معاً الليلة على أنه مجرد تنفيذ للخطة التي دبراها معاً.

فقال «آدم»:

«لقد فات الأوان لقد رأيتهما وهما تستقلان سيارة أجرة، وكنت أتمنى لو أراهما وهما تركبان عربة «ترامب البخارية»».

ومنعت «سامانثا» نفسها من الضحك وهي تتخيل هذا المنظر ثم قالت:

«إنني معجبة بالآنسة «تراسي»».

«وأنا كذلك معجب بها».

وسكت لحظة ثم قال:

«ألم تدركي بعد يا «سامانثا» أن هذه هي طريقتي في الحديث عن الأشخاص الذين أعجب بهم، إنني أحب الجميع هنا في المدرسة ما عدت لا أعرض

لتستقبلهم أو تدعوني إلى الخروج معهم.

حسناً يا عزيزي! لقد كنت أنا التي دعوتك إلى الخروج معي، هل يعني هذا أنك لا تحبني؟

أنت لي، آدم. وأرجو أن تكفي عن استفزازي وأنا أدور بالسيارة في هذا المنحنى وإلا وجدنا أنفسنا في إحدى الحفر.

بدا آدم لسامانثا في حالة مرح منعشة، فشعرت بالاطمئنان إليه، واسترخت في مقعدها إلى جواره وأخذت تنظر من نافذة السيارة. كان الجو صيفياً والسماء صافية من حولها وزقزقة العصافير تملأ المكان وهي تسارع إلى أعشاشها فوق الأشجار المصطفة على جانبي الطريق.

وفجأة وجدت سامانثا نفسها تتساءل إذا كانت على صواب فيما تفعله، ولكنها ترفعت عن التساؤل فقد كانت تشعر بمرح لم تألفه من السعادة وهي تجلس إلى جانب آدم.

ومضت بهما السيارة وقد لفهما الصمت حتى وصلا إلى المسرح. وتركا السيارة في مكان بعيد عن الزحام وسارا في الحديقة الكبيرة التي تحيط بالمسرح وقد امتلأت بتماثيل شخصيات شكسبير المسرحية، وهي تحيط بتمثال برونزي لشكسبير نفسه.

وقال آدم وهو ينظر إلى وجه شكسبير:

لقد عرف شكسبير كل شيء عن النفس البشرية، فأنت لا تحتاج لدراسة علم النفس إذا ما درست شكسبير وفهمته. ويمكن لأي شخص أن يجد نفسه في أحد هذه التماثيل.

فهزت سامانثا رأسها وهي تقول:

نعم، ولكن المهم هو أن تعرف نفسك، وإذا حدث أن عرفت فقد لا يعجبك ذلك.

ونظر إليها آدم وقد اكتسى وجهه بتعبير غريب وهو يقول:

ويا لك من طفلة فيلسوفة، إنك تدهشينني دائماً يا سامانثا.

قالت بلهجة قوية رزينة:

شكراً أيها السيد ولكني لست طفلة.

لست طفلة.

قال آدم ذلك في سخرية خفيفة ثم أضاف بصوت خافت:

ربما لا تكونين.

وساد الصمت بينهما فترة وهما يسيران وسط الحديقة، وقد انعكست أضواء المسرح على صفحة النهر، وشعرت سامانثا وهي تسير بجانب آدم وكأن شحنة كهربائية تسري في جسدها، فحاولت إقناع نفسها بأن ما تشعر به ما هو إلا الانجذاب الطبيعي بين رجل وفتاة. وبعد لحظة شعرت بيد آدم وهي تبحث عن يدها لتمسك بها.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تذهب فيها إلى مسرح ستراتفورد لمشاهدة مسرحيات شكسبير وعلى الرغم من ذلك كانت تحس بشعور مختلف تماماً هذه المرة وهي تدخل إلى المسرح وبجانبها آدم رويل.

وبدأ العرض المسرحي واستغرقت سامانثا تماماً في الاستمتاع بالمسرحية، حتى أنها لم تستطع انتزاع نفسها من الجو التاريخي الذي نقلتها إليه أحداث المسرحية.

وأخيراً انتهى العرض وسألها آدم وهما يخرجان معاً في الزحام عن رأيها في المسرحية وقال لها:

كنت تستمتعين بكل دقيقة من وقتك. لقد كنت أراقبك.

وأثناء سيرهما في أحد ممرات المسرح فوجئت سامانثا بآدم ينحني عليها قليلاً وهو يقول:

لا تنظري الآن إلى الوراء. فإن الآنسة تراليب والآنسة بيلي خلفنا مباشرة، وربما تكون هذه فرصة مناسبة لتغيظ خطيبك.

قال آدم ذلك وهو يحيط كتفيها بذراعه ويقربها منه في رقة ظاهرة.

وشعرت "سامانثا" بلمس ذراعه الدافئ على كتفيها وودت للحظة لو أنها مالت برأسها إلى كتفه.

وعادها صوت "آدم" يهمس في أذنها:

«ما رأيك. هل أقوم بدور المحب بطريقة مقنعة»

ورفعت "سامانثا" وجهها إليه وقلبها يخفق بشدة وردت عليه بجدية وهي تحدث نفسها بأنه يقوم بدوره بطريقة ممتازة فعلاً وقالت:

«لا بد أنك تدربت كثيراً على القيام بهذا الدور»

«وإنه لشيء غريب حقاً وربما لا تصدقيني يا "سامانثا" إذا قلت لك إنني لم أتدرب كثيراً على هذه المواقف كما تعتقدين»

واستطرد قائلاً:

«وربما كنت أنتظر الفتاة المناسبة»

ومرة أخرى برزت أمام عيني "سامانثا" صورة "إستيل لورانس" تلك الفتاة التي كان "آدم" يتحدث عنها بإعجاب شديد. وهنا شعرت "سامانثا" أنها أخطأت في الاشتراك في هذه اللعبة مع "آدم" ثم قالت في برود:

«وأظن أنه ليس هناك ما يدعو إلى أن تقوم بدورك بهذه الدرجة من الإتقان»

فابتسم "آدم" وهو يذكرها بأن الفكرة فكرتها ثم قال:

«وربما الذي يجعلك تعتقدين أنني أمثل»

وشعرت "سامانثا" بالرجفة تسري في جسدها من جديد وهي تسمعه يقول ذلك في صوت عميق.

ورفعت إليه وجهها ونظرت إليه بعينين متسائلتين، وفي هذه اللحظة سمعا صوت الآنسة "ترايسي" وهي تحييهما بصوت عال. ثم قادت نحو الآنسة "مي" وأخذ الجميع يتجاذبون أطراف الحديث حول المسرحية.

واستمعت "سامانثا" وهي ترى "آدم" يتحدث إليها بطريقة مهذبة للغاية. وتمنت ألا ينتهي لقاؤهما بوصولها بالسيارة، وشعرت براحة عميقة عندما سمعته

يعتذر لها ثم يضع يده في ذراعها وهو يبعدها بعيداً عن الزحام ويقول:

«لقد حجزت مائدة للعشاء، هل توافقين؟»

وشعرت لأول وهلة بالسعادة إذ ستتاح لها فرصة أطول للاستمتاع بهذه الليلة الجميلة ولكنها قالت:

«لم يكن من الضروري أن تفعل ذلك»

«أعتقد أن ذلك كان ضرورياً لسببين. الأول أننا سنكون أكثر إقناعاً في أعين مورين لو أننا تأخرنا في العودة إلى المدرسة. والثاني لأنني كنت على يقين من أنك ستشعرين بالجوع»

واتجها معاً إلى المطعم وكان العشاء ممتعاً وقد جلسا يتحدثان عن المسرحية وشعرت "سامانثا" بالسعادة تغمرها فتنهدت وهي تقول:

«هذا شيء رائع حقاً ولم أدرك كم أنا جائعة. فقد انشغلت في العمل ولم يكن لدي الوقت لتناول الطعام قبل خروجي»

فنظر إليها "آدم" وهو يقول:

«إنك تجهدين نفسك في المدرسة كثيراً أليس كذلك؟»

«أعتقد ذلك فعلاً لأنني أشعر بطريقة أو بأخرى أنني أفعل الكثير الذي كان من المفروض أن يفعله أبي»

واغرورقت عينا "سامانثا" بالدموع عند ذكر والدها. ولكنها أمسكت وهي تحاول التغلب على عواطفها:

«لهذا السبب أجد نفسي مسؤولة عن المدرسة خلال فترة تغيب العم "إدوارد"»

فنظر إليها "آدم" وهو يبتسم قائلاً:

«على أي حال ستحصل معاً على أن ينتهي كل شيء على ما يرام. فأنت لست وحدك الآن لأنني معك»

ونظرت إليه "سامانثا" وهو يدفع فاتورة الحساب واسترجعت كلماته حين قال لها:

ولقد استحوذت عليه.

وتمنت لو أنه كان يعني ما يقوله ولكنها كانت تدرك تماماً أنه لا يمكن لأية فتاة أن تقتلع آدم رورك في علاقة يسودها الحب والثقة لأنه ببساطة لم يخلق ليكون هذا الرجل.

وفي طريق العودة إلى المزرعة بدا على آدم أنه يفضل السكوت ولكن سامانثا كانت تخشى فترات الصمت التي تسود بينهما. لأنها تسبب لها نوعاً من التوتر لمحاولات استدراجه للحديث، فسألته عن خططه بالنسبة للمستقبل. فأجابها بأنه سيعمل في المزرعة الكبيرة مع بدء الفترة الدراسية القادمة وأنه سيقيم قريباً من المزرعة فسألته:

«ولكن هل ستحتفظ بالكوخ؟»

فرد بالايجاب قائلاً:

«إنه ملاذي الوحيد وسأقضي فيه معظم إجازاتي لأتمكن من الكتابة»

وقالت سامانثا وهي تطلق تنهيدة صغيرة:

«يبدو أنك رتبت كل شيء»

وسألت سامانثا نفسها إذا كان موضوع الزواج قد دخل في حسابه وهو يضع خطة حياته، واسترجعت في ذهنها صورة الكوخ الصغير فوق التل ولكنها انتبهت إلى صوت آدم وهو يقول لها أنهما قد وصلا إلى المزرعة.

ونظر آدم إلى مبنى المزرعة الذي كان يسبح في الظلام باستثناء بعض الضوء الذي كان ينبعث من نافذة أو نافذتين وقال:

«إنني أتساءل ما إذا كان أحد يتلصص علينا الآن ليرانا عند عودتنا»

ثم نظر إليها قائلاً:

«هل نستأنف سيرنا يا سامانثا»

وسادت فترة صمت ردد بعدها سؤاله هذا مرة أخرى وهو ينظر إليها.

والتقت نظراتها في ضوء السيارة الخافت ومد آدم يده ليضعها على المقعد حول كتفيها، وراقبت وهي تشعر بأصابعه تتحسس كتفها العاري، فأغلقت

عينيها وشعرت به وهو يجذبها بقوة واحتضنت سامانثا به وهي تبادله عاطفة في عنف لم تعرفه من قبل. وقد شعرت أنها كانت تتوق دائماً إلى مثل هذه اللحظة.

وأخذ آدم يربت على شعرها ثم نظر في عينيها وهو يقول في صوت حالم:

«أعتقد أنني وقعت في الحب يا سامانثا، وأنني أخيراً وجدت فيك ضالتي المنشودة»

وتنبها في هذه اللحظة إلى ضوء سيارة قادمة، وسمعا صوت إطاراتها وهي تقف بصورة مفاجئة بالقرب منهما وتنحت سامانثا بجانب السيارة، وما كادت تنزل منها حتى خرجت بشبح يتجه إليها بسرعة وسمعت صوت ليزا المنفعل وهي تقول:

«شكراً لله إنني وجدتك»

ثم اقتربت منها وهي تقول:

«لقد حضرت لأبحث عنك. هل يمكنك السماح لي بالدخول إلى المزرعة بدون أن يراني هذا المتوحش آدم رورك. لقد وقعت مشادة عنيفة بيني وبين زوجي»

وتوقفت ليزا عن الحديث فقد رأت شخصاً آخر يخرج من السيارة ثم قالت:

«آسفة يا سامانثا لم أكن أعرف أن أحداً يصحبك»

وبعد لحظة من الصمت المحرج قالت ليزا:

«ألا تقدميني لصديقك؟»

واقتربت من السيارة ورأت آدم وقد انعكس الضوء على وجهه، ورأت سامانثا ليزا وقد تسمرت في مكانها فجأة ثم سمعت صوت آدم يقول:

«لا داعي للمقدمات فإننا نعرف بعضنا أليس كذلك يا آنسة غرانت أم أقول السيدة غرانت الآن؟»

لم تنطق ليزا بل وقفت تحملق في آدم وبدا وجهها شاحباً للغاية، وأخذت سامانثا تنقل بصرها بينهما وهي لا تدري تماماً حقيقة الموقف بينهما ثم قالت

ليزا؟

ولا داعي لأن تقف في الخارج هكذا.

وأمسكت به آدم في محاولة لتهدئته، ولكنه دفع يدها وهو يهز رأسه في حركة عصبية وقال:

سأتركك الآن وعليك أن تتأكدي من إغلاق السيارة.

وما أن دخل آدم إلى المدرسة حتى انفجرت ليزا تضحك في عصبية وضجة وهي تقول:

ويا له من حظ سيء. لهذا آخر شخص أود رؤيته في هذه اللحظة. ولكن لم يكن أمامي سوى المغازلة بالتحدي، إلى هنا. لقد طردني روبرت خارج المنزل بعد أن عاد فجأة من سفره فوجدني مع رودي ساهرين، وحاولت أن أشرح له الأمر ولكنه لم يستمع إليّ.

ثم انفجرت باكية وهي تقول:

آه يا سام لقد كان الأمر فظيعاً.

وأخرجت سامانثا منديلاً من حقيبتها ووضعته في يد أختها ثم أغلقت باب السيارة وهي تقول:

تعالي ندخل. هل يعرف روبرت بوجودك هنا؟

لا. لقد أسرعت بالخروج من المنزل. كان غاضباً جداً.

فقالت سامانثا في هدوء وهي تصحبها إلى الداخل:

حسناً. يجب أن نتصل به لنطمئنه بالتليفون.

واتجهت سامانثا إلى الهاتف لتديره، لكن ليزا التي نظرت إليه في رعب شديد ثم قالت:

لا أستطيع ذلك. ليس الليلة على الأقل. ربما في الصباح.

ولكن سامانثا رفعت السماعة وهي تقول بلهجة آمرة:

اتصلي به الآن وإلا فعلت أنا ذلك.

فارتعشت فم ليزا وهي تقول لأختها:

كيف يمكنك أن تفعلي بي هذا يا سام، إنك أختي ولا بد أن تتعاطفي معي.

فردت سامانثا قائلة في برود:

إنني لا أشعر برغبة في التعاطف معك. هل أطلب لك رقم المنزل؟

قالت ذلك وهي تدير قرص التليفون بالفعل. ولما سمعت صوت روبرت على الطرف الآخر سلمت السماعة لليزا ثم خرجت من الغرفة بعد أن أغلقت الباب وراءها.

وبعد حوالي عشر دقائق خرجت ليزا من الغرفة. كان وجهها ما زال شاحباً ولكنه خلا من مظاهر الخوف وقالت في لهجة امتزجت بنوع من الغرور:

إن روبرت سيحضر ليعيدني إلى المنزل في الحال.

ثم أضافت وهي تبتسم:

شكراً يا سام لأنك فعلت ذلك. أنت دائماً فتاة عاقلة.

فرددت سامانثا قولها بصوت جاف وهي تفكر في موقفها من آدم:

فتاة عاقلة؟ لا أعتقد ذلك.

لقد شعرت سامانثا بأنها اقترفت الحماقة الكبرى حين وقعت في حب آدم. واتجهت إلى المطبخ لإعداد فنجان من الشاي لليزا وهي تسترجع موقفها مع آدم قبل مجيء ليزا، ولمس شعره وهي تتخلله بأصابعها بعد أن عبرتها الذكريات بالضرورة وهي تستعيد صورته وهو يدفع يدها بعيداً في حضور ليزا، وشعرت بقلق غامض وحاولت أن تطمئن نفسها بأن الغد كفيل بأن يمحو غضبه من طريقه.

ولم تستطع النوم إلا بعد أن أقنعت نفسها بأن أول شيء عليها أن تفعله في الصباح هو محاولة معرفة كل شيء عن حقيقة الروابط بين آدم و ليزا.

ولسوء حظ سامانثا كان اليوم التالي هو الأحد، وكان من الصعب عليها أن تجتمع بآدم إذ كان مشغولاً بالعديد من اللقاءات، وشعرت في أثناء العطلة

المهنية، ثم اتجه إلى المكتب وهو يقول:
«لا أريد التحدث في هذا الأمر بعد الآن، فهو لا يعدو أن يكون مسألة شخصية والآن بالنسبة للشركة الجديدة، كنت أنوي أن أعرفك بهذا الأمر غداً خلال ساعات العمل، فقد وجدت أنه من الأفضل الاستعانة بك منذ الآن لتتولي العمل بصفة مؤقتة إلى أن يعود السيد بارل»

وبينما وكان آدم يريد إنهاء المقابلة اتجهت سامانثا إلى الباب، ولكنها شعرت بأن الموقف ما زال كما هو فالتفتت إليه مرة أخرى وهي تمد يدها إليه ترغب في استعطافه.

فنظر إليها نظرة سريعة ثم أشاح ببصره وهو يقول:
«سامانثا أرجوك أن تنسي كل شيء عن هذا الموضوع، وأرجوك لا داعي للاستمرار في النقاش»

فهزت سامانثا رأسها في أسف وهي تقول أنها لا تبالي، ثم أسرعت بالخروج من الغرفة.

وتوجهت سامانثا إلى غرفتها فقد شعرت برغبة شديدة في الانفراد بنفسها والبكاء، وأخذت تلوم نفسها، لقد حذرتها ليزا من قبل ولكنها لم تستمع إليها وحدثت نفسها بأنه ربما كان من حسن حظها، أن يقطع آدم علاقته بها قبل أن يتطور الأمر إلى أكثر من ذلك، وربما من الأفضل أن تتوقف عن التفكير فيه لأن ما تشعر به نحوه لا يتعدى الانجذاب الطبيعي بين الرجل والمرأة، ولكنها عندما ذهبت إلى سريرها في هذه الليلة انفجرت في البكاء وكأن قلبها قد انفطر انفطاراً.

٩ - رياح القسوة

استيقظت سامانثا صباح اليوم التالي وجهها أكثر شحوباً، ولكنها عادت إلى طبيعتها تماماً وهي تجلس إلى مكتبها عندما وصل آدم وصافحها تحية الصباح ونجحت سامانثا إلى حد كبير في السيطرة على نفسها وهي ترد تحيته بابتسامة مصطنعة.

وقالت سامانثا تحدث نفسها بينما كان آدم يخلع رداءه الخارجي ويلقي به على المقعد
«لا تنزعج يا سيد آدم دوريل فإنني لن أركع على ركبتي طلباً لرضاك كما تتوقع من جميع النساء... لا لن يحدث هذا مني أبداً»

ثم وجهت سامانثا حديثها إلى آدم قائلة:
«وصلتنا مجموعة كبيرة من الرسائل معظمها عادي، ولكن هذه الثلاثة تحتاج لأن تلقي عليها نظرة»

وسلمته الرسائل ثم نظرت في دفتر المواعيد وقالت:
«ليس لديك أية مقابلات حتى الحادية عشرة، هل ترغب في رؤية السيد ريد للاعداد لمسابقة الكريكيت»

على استعداد لذلك.

وسحبت ساماناثا المستقبل إلى كريستوس ثم عادت تبحث عن ريتشارد. لماذا يا ترى قد غادر مكتبها تاركاً لها مذكرة صغيرة يقول فيها إنه لم يستطع انتظارها وكان على موعد هام لا بد من الوفاء به. وطلب منها إرسال بعض الأشياء اللازمة لرحلة والده إلى دبلن غداً قائلاً إنه سيعود إلى المدرسة بعد أن يقوم بتوصيل والده إلى دبلن. وشعرت ساماناثا في هذه اللحظة بنوع من الإحباط فقد كانت تعول كثيراً على وجود ريتشارد في المدرسة في هذا الوقت بالذات، وبقيت لحظة في سكون إلى جانب المكتب وقد انتابها شعور موحش بالوحدة.

وفي حوالي الثانية عشرة اتجهت ساماناثا إلى غرفة المدير واستجمعت شجاعتها وهي تطرق الباب وتدخل ورفع آدم وجهه نحوها ثم نظر من جديد إلى الأوراق الموضوعة أمامه وهو يسألها عما تريد.

وأخذت ساماناثا نفساً عميقاً قبل أن تقول:

- أردت أن أسألك إذا كان يكفي الموجود في حسابك لإحضار بعض الضروريات اللازمة للسيد باول الذي سيغادر المستشفى قريباً كي أرتب أن أسرع للذهاب إليه غداً.

فأجاب آدم بأنه يمكنها أن تفعل ما تريد غير أنه لم يرفع نظره إليها طوال حديثه معها وبدا في هذه اللحظة وكأنه يريد أن تترك الغرفة ولكن ساماناثا قالت:

- هل ...

إلا أنها توقفت عن إتمام سؤالها. فرفع آدم رأسه مستفهماً فقالت ساماناثا بعد تردد:

- هل ستحتاج إلى مساعدتي في الكتابة على آلة الطباعة هذا المساء كالعادة؟

وأخذ آدم قلماً من درج المكتب قبل أن يرد عليها قائلاً:

- لا أعتقد ذلك. وأنا أشكرك على مساعدتك لي في الفترة الماضية ولكنني لم أعد في حاجة إلى ذلك والآنسة نورتون تعتني في عملية الطباعة إلى جانب مهماتها الأخرى وقد اتفقت معها على مساعدتي.

نظرت ساماناثا إليه وقد أخرستها المفاجأة للحظة، ثم اجتاحها غضب رهيب أخذ يعصف بها. كيف يتحدث إليها بهذه اللهجة وكأن ما حدث في الليلة الماضية قد أسقط من حسابه تماماً. ألم يهمس في أذنيها وهما في السيارة: لقد وقفت في حياتي يا ساماناثا، ووجدت فيك ضالتي المنشودة. ولم يكن غضبها بسبب فعلته هذه بقدر ما كانت بسبب الطريقة التي انتهجها وهو يقصد ذلك.

وانطلقت ساماناثا تقول في غضب وقد اهتز صوتها:

- إذن ليزا كانت على حق فعلاً في كل ما قالته عنك. لقد حذرتني منك قبل حضوري وحدثتني عن الطريقة الوقحة التي تتعامل بها مع النساء وأنا أخطأت عندما لم أعبأ بتحذيرها. ربما هو التاريخ يعيد نفسه يا سيد رودلي أليس كذلك؟

واندفع آدم واقفاً ونظر إليها وهو يقول في ثورة غضب جامحة:

- إنني لا أهتم برأي أحد في أو برأيك أنت. والآن اتركي الغرفة قبل أن أفعل شيئاً أندم عليه. لا يمكن لأحد التفوه بمثل هذا الكلام لي بدون أن يفلت من عقابي.

وظلا لحظة متواجهين في هذا الموقف ثم التفتت ساماناثا واتجهت إلى الباب وأغلقته بشدة وراءها.

وشعرت ساماناثا وهي تتجه إلى غرفتها في الطابق العلوي بأن ساقيها تنهاران من خوفها ولكنها صممت مهما حدث لها أن تسير الأمور على ما يرام بالنسبة للمدرسة.

ولم تر ساماناثا آدم كثيراً في الأيام التي أعقبت هذا اللقاء العاصف. وكان واضحاً أنه يحاول تحاشي اللقاء بها وأنه يحاول أن يضع جداراً عالياً بينهما

وعلى الرغم من أن سامانثا رحبت بهذا التوقف بعد موقف آدم المتين منها
إلا أنها كانت تشعر في قرارة نفسها أن هناك شيئاً يستعصي عليها فهمه. وكانت
الأسئلة تراوده عن ذهنها في أوقات فراغها وهي تحاول تفسير موقف آدم
ولكنها لم تجد لها جواباً.

وفكرت سامانثا في زيارة ليزا لمعرفة حقيقة ما حدث بينها وبين آدم
منذ أربع سنوات، ولكنها تراجعت لأنه لا جدوى من ذلك فمهما كان موقف
ليزا منه. فلن يكون مبرراً أبداً لأن يقف آدم منها هذا الموقف. واعتقدت
سامانثا أنه من الأفضل أن تترك الوضع كما هو حتى يتجلى كل شيء في مجراه
الطبيعي بطريقة عادية.

وعندما طلبتها ليزا في الهاتف بعد ذلك بيومين لم تذكر لها أي شيء عن
آدم. وأبلغتها ليزا خلال هذه المكالمة أنها ستسافر مع روبرت إلى
نيوكاسل.

وكان من حسن حظ سامانثا أن العمل أخذ عليها كل وقتها بعد ذلك،
وخاصة بعد المرض الذي ألم بالسيدة كنيل، وقد اضطرت سامانثا إلى
الاستعانة بخدمات السيدة ... وهي أرملة تزورها، لمساعدة السيدة كنيل
في عملها، وكانت لا تكاد تجد الوقت الكافي لفض الخلافات الواقعة بينهما
في هذه الظروف الصعبة حدث شيء أسعد سامانثا لقد تقرر أن يغادر العم
إدوارد المستشفى وذهبت لرؤيته وهي أفضل ما قد يحتاج إليه في رحلته إلى
ديفون. إلا أنه حدث ما أدى إلى تأخيرها. فوصلت إلى المستشفى بينما كانت
السيارة التي تحمل العم إدوارد وريتشارد بدأت في التحرك. وتوقف
ريتشارد وهو يراها تهرول تجاه السيارة، وانحنت سامانثا إلى العم
إدوارد داخل السيارة ثم قالت لاهثة

- لقد أردت أن أودعك وأتمنى لك عودة سريعة

ورأت سامانثا ريتشارد وهو يقود السيارة يبتسم إليها وتنهدت في ...

يستخدم سيارة العم إدوارد وهذا يعني أنه حضر إلى المدرسة لأخذ السيارة ولم
يحاول مقابلتها. وربما بدا الأمر غريباً أنها لم تر ريتشارد منذ ذلك اليوم الذي
ترك لها المذكرة على مكتبها وعلى الرغم من أنها كانت تعرف أن ريتشارد من
النوع الكتوم الذي لا يحب التحدث كثيراً عن أموره الخاصة إلا أنها شعرت
بنوع من الاستياء لما بدا لها من عدم اهتمامه ولامبالاته من تحركاتها.

قال لها ريتشارد موضحاً:

- قال الطبيب: سامانثا سأحاول العودة سريعاً ولكنني لا أستطيع الجزم بذلك في
الوقت الحاضر في أي حال. آدم رودل معك يساعدك ومن المؤكد أن كل شيء
سيمضي على ما يرام.

ولوحت سامانثا للسيارة وهي تبتعد بالعم إدوارد وريتشارد، ثم اتجهت
ببطء إلى حيث كانت تقف سيارتها.

وبعد عودتها إلى المدرسة وجدت كريستين في انتظارها في مكتبها وقد بدت
عليها مظاهر القلق الشديد.

ولما سألتها سامانثا عما بها علمت منها أنها قلقة على جيمس فإنه يبدو أن
الآنسة تروتون لا تعرف كيف تتعامل معه بلباقة. وأخذت تشكي لها كيف
أنها عاقبته بشدة لتأخره في العمل، حيث كان يشاهد إجراء إحدى التجارب بعد أن
سمح له آدم بذلك، وهددت بأنها ستمنعه من الدخول إلى المعمل مرة أخرى مما
سيؤثر بصورة كبيرة على نفسيته.

وقالت كريستين:

- يبدو أنني تسرعت في قبول الزواج من هيو، لأنني والوضع هكذا أشعر بالقلق
الشديد تجاه جيمس، وربما كان من الأفضل أن أؤجل سفري إلى إيطاليا.

كان من الممكن لسامانثا في الظروف السابقة أن تسوي هذه المسألة
ببساطة متناهية، لو أن آدم كان متفهماً تماماً لظروف جيمس النفسية وكان
من الممكن أن يستمع إليها وهي تحدثه بهذا الشأن، أما الآن فقد اختلف الوضع

ولا تدري ماذا سيكون موقف آدم ولكنها أمسكت ذراع كريستين معطفة
وهي تقول لها أنها ستراعي جيمس بنفسها
وولت كريستين وقد لاحت ملامحها قلقاً وهي تشكر سامانثا قائلة
ماذا عسى يكون من ذلك يا سامانثا فإني أثق بك
وعندما أغلقت كريستين الباب وراءها جلست سامانثا تلوم نفسها قائلة:
عليك الجميع يثقون بي، وخاصة آدم الذي أوضح تماماً أنه لا يثق بأي فتاة.
وخاصة بي.
وفي السبت الأول من شهر حزيران أقيمت مباراة في المدرسة
الكريكيت بين أولياء الأمور، وكانت هذه المناسبة من المناسبات الهامة
المعروفة
كان يوماً مشرقاً، وبدت الحديقة نظيفة تماماً وبملاعب الكريكيت مساحة
كبيرة من الخضرة الجميلة تحيط بها الأشجار العالية، وتناثر في أنحاء المكان أولياء
الأمور مع أبنائهم وكان البعض يرتدي الملابس الرياضية والبعض يجلس تحت
أشعة الشمس، وأخذت سامانثا موقعاً لها بعيداً عن الزحام وسمعت صوتاً من
خلفها يقول:
وإنه منظر انكليزي تقليدي يا آنسة فرانك أليس كذلك؟»
والتفتت سامانثا إلى الخلف لتجد السيد جونز مدرس العلوم، وتحدثا
يتحدثان عن الجو والمباراة وكان السيد جونز على وشك أن يتركها عندما قالت
سامانثا فجأة:
«سيد جونز أود أن أسأل عن أحوال جيمس كنت أتحدث مع والدته بشأنه
فشعرت بأنها مهتمة جداً بتنمية ميوله العلمية»
وبدا السيد جونز وهو يحاول التذكر ثم قال:
« جيمس هذا الطفل الصغير الذي يحضر إلى المعمل في بعض الأحيان بناء على
أوامر السيد رويل، انه يبدو شغوفاً جداً بالكيمياء.. أرى أنه من السابق لأوانه

توجيه الطفل إلى ناحية علمية محددة وخاصة أنه ما زال في سن مبكرة وليس
من المستحسن أن يتخصص في هذه السن بل الأفضل له أن يستمر في التعليم
العام.
وشعرت سامانثا بالأسف بعد أن تركها السيد جونز كان من الواضح أنها
لن تجد منه مساعدة لتحقيق رغبتها في أن يستمر جيمس بحضور دروس
الكيمياء.
واتجهت سامانثا في بطء إلى ملاعب الكريكيت حيث أخذت تشاهد
التلاميذ وأولياء الأمور وهم يتبارون. ثم اتجهت إلى حيث اصطفت الولائم
لضيافة الزائرين، وبعد أن اطمأنت إلى أن كل شيء على ما يرام اتجهت إلى المنافذ
ولكنها فوجئت بآدم يقف بالباب فتنحت جانباً لتفسح له الطريق. لأنها قررت
في الفترة الأخيرة على تحاشي مواجهته بقدر الإمكان.
وفي هذه اللحظة اندفع أحد التلاميذ الصغار ناحية آدم وعرفت فيه
سامانثا كارترايت وكانت تقف بجانبه فتاة على درجة فائقة من الجمال في
حوالي الرابعة والعشرين من عمرها، وسمعت سامانثا كارترايت يحدث
آدم قائلاً:
عمي، عمي وهي تقول إنها تعرفك
كان آدم واقفاً وظهره إلى سامانثا فلم تتمكن من رؤية تعبيرات وجهه في
هذه اللحظة، ولكنها كانت تستطيع رؤية وجه الفتاة وهي تنظر إليه بعينين
لامعتين قائلة:
هل تذكرني يا آدم رويل لقد اشتركنا معاً في مباراة خيرية للتنس هنا منذ
زمن بعيد.
وأعقب ذلك فترة من الصمت، ثم سمعت صوت آدم وهو يقول في سعادة
واضحة:
« جيليان جيليان كارترايت، طبعاً أذكرك تماماً. هل تقيمين هنا مع شقيقك؟

«إنني أذكر أنك كنت المتميزة في دورستيه».

ضحكت الفتاة وهي تجيب:

«أرى أنك تتمتع بذاكرة قوية».

واتصل الحديث بينهما بعد ذلك ولكن سامانثا لم تكن تنصت ولكنها فرحت بهذا اللقاء، وأخذت تحدث نفسها:

«وإذاً هذه هي جيليان كارترايت الفتاة التي حطم أخي قلبها ودفعها إلى محاولة الانتحار حقاً يا أخي لقد كانت قصة درامية عنيفة ولكن ليس بها أي أثر من الحقيقة، وكان يجب أن أدرك هذا من قبل».

وحان موعد زواج كريستين وطلبت إلى سامانثا الذهاب معها لحضور القداس والعودة بجيمس إلى المدرسة بعد ذلك، وكان عرساً بسيطاً اقتصر على الأقارب وعدد قليل جداً من الأصدقاء، وبدت كريستين جميلة في ثوبها الرقيق، وقد أعجبت سامانثا بجيمس فارس يبدو زوجها له وكان يبدو رجلاً هادئاً ذا طبيعة طيبة.

وفي طريق العودة إلى المدرسة جلس جيمس إلى جانب سامانثا في السيارة وقد التزم الصمت تماماً، ولم تحاول هي من جانبها دفعه إلى الحديث، ولاحظت كيف يحاول جيمس الالتصاق بها فشعرت بالسعادة لأن جيمس بدا وكأنه مرتاح إلى صحبتها.

كانت سامانثا تدرك موقف جيمس وكيف أنه سيشعر بالضياع والوحدة بعد ذهاب أمه وخاصة أنه رفض قضاء عطلة نهاية الأسبوع مع أبناء عمه ويفضل البقاء في المدرسة.

وبعد أن وصلا إلى المدرسة قال جيمس:

«الآنسة غولد».

وسكت لحظة تردد وهو يحاول التغلب على شعوره ثم استطرد قائلاً:

«آنسة غولد هل تظنين أن الآنسة نورتون تسمح لي بالذهاب إلى المعمل

بعد العشاء الليلة فهي تمنعني من ذلك ولكني أرجو أن تسمح لي ولو مرة واحدة».

ووعدته سامانثا أن تفعل ذلك، وشعرت أن موقف الآنسة نورتون يتسم بالقسوة، وتوجهت إلى غرفة الشرفة الفسيحة حيث وجدت الآنسة نورتون.

كانت الغرفة قد تغيرت معالمها تماماً بعد حضور الآنسة نورتون ولم تعد توحي بجو الأمان لأي طفل صغير قد يلجأ إليها، لقد أصبحت أشبه بعيادة طبية عادية.

ووجدت سامانثا الآنسة نورتون تجلس خلف الطاولة فبادرتها على الفور قائلة:

«حضرت إليك بطلب من جيمس، تزوجت أمه اليوم وأنت تقدرين شعوره في هذه اللحظة، وهو يرجو أن تسمحي له بالحضور إلى المعمل ولو هذه المرة فقط».

ورفعت الآنسة نورتون وجهها وهي تقول في برود:

«ولماذا لم يحضر بنفسه ليطلب مني ذلك؟»

وابتسمت سامانثا من القول لما أنه يخشاها ولكنها ردت عليها بطريقة دبلوماسية:

«لا بد أنه كان يود ذلك، ولكن ظروف اليوم غير عادية كما تفهمين ما أعني».

وتجاهلت الآنسة نورتون قول سامانثا وردت قائلة:

«من الأفضل أن تطلبي منه الحضور إلي».

وترددت سامانثا قليلاً وهي تقول:

«ولكن هل تسمحين له بالتوجه إلى المعمل؟»

ونظرت إليها الآنسة نورتون من خلف نظارتها الداكنة وهي تقول:

«أعتقد أنني صاحبة القرار الأول والأخير».

وتمالكت سامانثا أعصابها وخرجت من الغرفة ووجدت جيمس في انتظارها قلقاً، وأبلغته أن الآنسة نورتون ترغب في مقابلته، وأخذت تطمئنه وهي تضع ذراعها في حنان حول كتفيه.

وجلست سامانثا في إحدى الغرف المواجهة لغرفة الشرفة الصحية، بانتظار خروج جيمس، وبعد فترة سمع صوت الباب يفتح ثم خطوات أقدام جيمس ثم صوته وهو يبكي في حرقة شديدة.

فاندفعت سامانثا تخرج من الغرفة في نفس اللحظة التي فتح فيها باب الغرفة الملحقة بغرفة الشرفة الصحية ليخرج منه آدم، وتوقفا وجهاً لوجه وتلاقت نظراتهما لحظة ثم بدا وكأن آدم يحاول الابتعاد فاندفعت دون تفكير تقول:

«أرجوك يا سيد رودريل إنتظر لحظة»

فالتفت آدم ونظر إليها وقد ارتفع حاجباه فقالت وهي ما زالت في قمة انفعالها:

«لقد كنت هناك طوال هذا الوقت، فهل سمعت ما حدث؟»

«نعم كنت هناك»

وتطلعت سامانثا تستفسر وهي تقول له:

«وتركتها تفعل كل ذلك. تركت هذه المرأة تعامل الطفل الصغير بهذه الطريقة»

لوى آدم وقد خلا وجهه من أي تعبير:

«عليه أن يتعلم كيف يواجه الأمور بنفسه»

«ولكنه ما زال طفلاً صغيراً وقد كان يوماً عصيباً بالنسبة إليه، ولكنه تماسك واقتصد فيه ولم يذرف دمعة واحدة إلى أن دخل غرفة الآنسة ...، ورأيت أن أقل شيء كان يمكن أن تفعله إظهار شيء من الحنان والانسانية»

واهتز صوتها وهي تقول:

«أعتقد أنها تصرفت بمنتهى القسوة، وأنت كذلك يا سيد رودريل»

وبدا على آدم وكأنه سيفقد أعصابه ولكنه رد في صوت بارد:

«أنا المسؤول هنا يا آنسة ...، ولن أسمح لأحد بأن يوجه إلي اتهامات أو ينتقد أوامري، وأرجو أن تضعي ذلك نصب عينيك جيداً، ولا تعتمدي على مركزك هنا

في المدرسة»

قال آدم ذلك وابتعد مسرعاً عنها.

ووقفت تنظر إليه في وجوم وهو يبتعد وقد أدركت الآن أن هذه هي النهاية.

النهاية المؤلمة.

هابس» الذي يعمل معه لمدة ثلاث سنوات في «الكسيك».

وهنأته «سامانثا» وهي تشعر بسعادة حقيقية فقد كانت تدرك مدى أهمية هذا العمل بالنسبة إليه. ثم قالت:

«ولكن هل يعني هذا أنك ستعود إلى جنوب «أمريكا» في القريب العاجل؟»

«نعم سأذهب غداً. معذرة آنا أعلم أنها مفاجأة منى ولكن والدي شجعني على ذلك.»

وتوقف «ريتشارد» قليلاً قبل أن يستطرد قائلاً:

«هناك شيء آخر، ولو أنني أشعر أنه من الصعب أن أتحدث فيه عن طريق الهاتف. إنك تعرفين شعوري نحوك. كنت أنوي أن أؤجل الحديث في هذا الموضوع ولكن لا أدري متى أعود مرة أخرى. أنت تعرفين ما أعني يا «سامانثا». وأرجوك أن تحاولي التفكير في هذا الأمر إلى حين عودتي.»

وكانت «سامانثا» تعرف أنه يريد أن يحدثها بشأن زواجهما فابتسمت وهي ترد عليه قائلة:

«سأفكر في الأمر.»

وأضافت «سامانثا» تحدث نفسها: ربما أفكر في ذلك بعد أن أشفى. ثم وريل «من عيناي تماماً وبعدما تزول عنى هذه الرجفة التي تنتابني كلما رأيته أو سمعت صوته.

كانت «ليزا» تقول دائماً أنها مثقفة المشاعر، وكانت هي أن تصدق ذلك فعلاً. ولكن لا يمكنها الآن أن تتجاهل حنينها الدافق إلى عودة «آدم» اليها إلى الارتماء بين ذراعيه إلى عناقه الطويل.

وعلى الرغم من أن «سامانثا» كانت تشعر بأنها في حالة إنهيار، وربما تريد الانفراد بنفسها. إلا أنها تماسكت وصممت على عدم التخاذل ونزلت إلى غرفة الطعام حيث شاركت في طعام العشاء. وكان الجميع في شوق إلى معرفة كل التفاصيل الخاصة بزواج «كريستين»، فأخذت تقص عليهم بالتفصيل كل شيء عن الحفل وعن موقف «جيمس» وكيف بدا وهو يحاول [illegible].

١٠ ـ وأزهر الصخر

عادت «سامانثا» إلى مكتبها وهي تجر قدميها جراً. وما أن دخلت حتى ارتمت في مقعدها وهي تشعر بإرهاق شديد وقد جف حلقها.

ورن جرس الهاتف وكان المتحدث «ريتشارد»:

«أهلاً وسهلاً بك يا «سامانثا».»

حادثها صوت «ريتشارد» وهو يقول لها أنه كان يحاول الاتصال بها طوال اليوم ولكنه لم يجدها.

وأخبرته «سامانثا» بأنها كانت تحضر زواج «كريستين». وشعرت في هذه اللحظة بعد أن سمعت صوت «ريتشارد» يتدفق بالمودة، كأنها تريد أن تنفجر في البكاء. ولكنها تماسكت وهي تسأله عن أهله وعن أخبار «العم إدوارد».

«إنه بخير» وسمعته يتكلم سريعاً.

وأضاف في صوت منفعل:

«هناك شيء، أود إبلاغك به. شيء خطير عاجل قد حدث لي.»

وسألته «سامانثا»:

«هل هي أخبار طيبة؟»

وظنت «سامانثا» للحظة أنه ربما يريد أن يقول لها أنه قابل فتاة ويريد الزواج منها. ولكنه استطرد يقول أنه تلقى عرضاً لوظيفة مرموقة كمساعد للأستاذ

وعندما صعدت سامانثا إلى غرفتها لم تستطع النوم فأخذت تفكر في جيمس الذي كانت تشعر بالقلق عليه، وقادها تفكيرها في جيمس إلى الآنسة نورتون، وأخذت أفكارها تتداعى لتصل بها في نهاية الأمر إلى آدم عبر اليوم الطويل. سامانثا فقد راق لها أن تذهب إلى الغرفة التي يقيم فيها جيمس مع ثلاثة من زملائه للاطمئنان عليه وارتدت سامانثا روبها واتجهت إلى غرفة جيمس ففتحت الباب وأطلت برأسها ونظرت إلى سريره في ركن الحجرة ولكن لرعبها الشديد وجدته خالياً.

وهرولت سامانثا تبحث عن جيمس في الأماكن التي يحتمل وجوده بها، ولما لم تجده وقفت في حيرة وهي لا تدري كيف تتصرف، وفجأة خطر لها أن تذهب إلى المعمل تبحث عنه، والمعمل عندما وصلت إلى هناك لمحت بصيصاً من الضوء ينبعث من الباب الذي لم يكن مغلقاً جيداً، ودفعته وهي تقول برفق:

- جيمس، أنا الآنسة غرانت.

وفي هذه اللحظة سمعت صرخة طفل، ورأت الضوء ينبعث من ناحية الطاولة الموجودة في المعمل ليغطي المكان، فإذا بها ترى جيمس يقف منحنياً في ركن الغرفة خائفاً مذعوراً من النيران التي بدأت تشتعل.

وتصرفت سامانثا بسرعة فنزعت عنه رداء المعمل، وحاولت أن تخمد به النيران التي أخذت تشب وبذلت جهوداً مستميتة في محاولة إخماد الحريق من غير أن تلجأ إلى طلب المساعدة.

وبعد جهد كبير تمكنت من السيطرة على النيران، والتفتت إلى جيمس وقد وقف يرتعد من الرعب، ولما لم تجد به أية إصابات حملته بين ذراعيها وأجلسته فوق مقعد مرتفع وهي تحتضن رأسه بين يديها.

في هذه اللحظة دخل آدم إلى الغرفة وألقى نظرة سريعة عليهما ورأى آثار الحريق والمياه على الأرض فأدرك على الفور ما حدث.

وشعرت سامانثا فجأة بأن قدميها لا تقويان على حملها فألقت بنفسها إلى

جوار جيمس في شبه إعياء ولكنها شعرت بآدم وهو يحاول رفع يديها لمعرفة ما إذا كانت قد أصيبت.

وبدأت تعود إلى حالتها الطبيعية، وعندما نظرت إلى أعلى رأت الآنسة نورتون تقف إلى جانب آدم، وهي تحاول حث جيمس على النظر إليها وسمعتها تقول لآدم أنه لا بد من نقله إلى غرفتها للكشف عليه، وأجفل جيمس لدى سماعه ذلك، وسمعت صوته وهو يصرخ بطريقة هستيرية ويرفض أن يذهب معها، وحاولت الآنسة نورتون إزالته من فوق المقعد ولكنه دفعها بعيداً عنه وهو يحتضن سامانثا ويدفن رأسه في صدرها.

وبدأ آدم يشعر بأن جيمس في حالة لا تسمح له بإطاعة أية أوامر، فالتفت إلى سامانثا وطلب منها أن تأخذه معها للعناية به لبعض الوقت، إلى أن يتمكن من ترتيب الأشياء في المعمل.

وصعدت سامانثا إلى غرفتها وبصحبتها جيمس حيث أخذت تغسل وجهه ويديه، ووضعته في مقعد مريح بجوار المدفأة وأعطته علبة من الحلوى.

وبعد فترة قصيرة قال جيمس:

- كنت أريد فقط أن أرى التجربة التي كانت تجري في المعمل الليلة، ودون أن أحاول أن أفعل شيئاً ثم اشتعلت النيران.

وانفجر جيمس في البكاء وهو يقول:

- أرجوك يا آنسة غرانت أريد أن أعود إلى منزلي الآن.

وعانقته سامانثا لتهدئه وعندما سألته لماذا لم يطلب من الآنسة نورتون، ولكنه قال لها إن الآنسة نورتون طلبت منه ألا يدخل إلى المعمل بعد العشاء، فانتظر إلى ما بعد موعد النوم وذهب.

ونظر إليها جيمس في قلق فحاولت سامانثا أن تطمئنه، ثم تركته في غرفتها وهبطت إلى المعمل مرة أخرى لتجده خالياً، وكانت آثار الحريق تبدو واضحة على الطاولة، وعاد آدم إلى الغرفة في هذه اللحظة وهو يقول لها إنه

اضطر إلى إبعاد بعض الأدوات إلى الخارج، ولم يكن باستطاعتها أن تشرح حقيقة موقف آدم في ذلك الوقت، وحاولت شرح الأسباب التي دفعت جيمس إلى القيام بهذا العمل وكيف أن إغراء العمل كان أقوى من أن يستطيع أن يقاومه فرد عليها قائلاً:

«الآنسة نورتون تعتقد أنه فعل ذلك قصداً منه».

فردت ساماتا بحزم:

«الآنسة نورتون مخطئة».

ثم سادت فترة صمت قالت ساماتا بعدها:

«إن جيمس يريد العودة إلى منزله الآن وفي هذه اللحظة».

«مستحيل، لا يمكن أن يتسلل بهذه السهولة بدون أن يتحمل نتيجة عمله».

فقالت ساماتا:

«إنه في حالة نفسية وهو في حاجة إلى الحب والحنان، وهو ما لا يتوفر من جميع الموجودين هنا».

ثم استطردت ساماتا قائلة:

«كما أن هناك جانباً آخر لهذه المشكلة فلو أن جيمس ظلّ في المدرسة، فإن التلاميذ سيعرفون ما حدث، وبالتالي سيعرف الأهالي ذلك ويعتقدون أن هناك نوعاً من التهاون بالنسبة لاحتياطات الأمن بالمدرسة، مما سيكون له أسوأ الأثر على سمعتها».

وأضافت ساماتا أنه يمكنها إقناع أي لجنة بتبرير ما حدث في المعمل.

ولكن آدم رد قائلاً:

«وماذا لو رفضت هذا الرأي».

فرفعت ساماتا وجهها إلى أعلى في تحدٍ وهي تقول:

«سآخذ جيمس إلى منزله الجديد، وأتركه هناك مع عائلته الجديدة فهي امرأة عطوف، وفي رأيي أنها ستعامله أفضل معاملة، وأرى أن ما أفعله في مصلحة

جيمس والمدرسة على حد سواء، وسأذهب الآن فوراً لأصحبه إلى منزله ولا يمكن أن تمنعني يا سيد روبن».

قالت ساماتا ذلك واندفعت خارج المعمل.

وصلت ساماتا إلى منزل السيدة غاريث ومعها كريستوفر وأرادت ساماتا أن تعود إلى المدرسة بعد أن اطمأنت إلى نوم جيمس، ولكن السيدة غاريث أصرت على أن تبقى معها لتناول فنجان القهوة وبعض الفطائر وهي تقول:

«إنك تبدين متعبة جداً وأخشى ألا يمكنك قيادة السيارة هذه المسافة الطويلة».

كانت ساماتا قد بدأت تشعر بالتعب بعد أن زالت خطورة الموقف ولكنها كانت مصممة على العودة للمدرسة آدم، لأنها كانت تعرف أنه لا بد وأن يكون في انتظارها وهو غاضب لتحديها له، وأرادت أن تصفي حسابها معه فوراً.

ورفضت كل عروض السيدة غاريث للمبيت عندها وودعتها واتجهت إلى السيارة وجلست في مقعدها، وفجأة وهي تنظر إلى الخلف رأت شبحاً ضخماً يظهر بجانبها ووجلت ساماتا ولكنها بعد لحظة أدركت أنه آدم.

وقالت ساماتا وهي تنظر إليه من نافذة السيارة بعد أن تمالكت أعصابها:

«ماذا تفعل هنا؟»

قال في لهجة مقتضبة:

«لقد جئت لأعود بك إلى المدرسة في سيارتي».

«ولكن كيف عرفت الطريق؟»

«لقد تبعتك».

«كنت تنتظر طوال هذا الوقت في الخارج وأنت جالس في السيارة؟»

«قضيت الوقت وأنا أتمشى في المنطقة وأفكر».

كانت ساماتا قد أمضت ما يزيد على الساعتين مع السيدة غاريث ونزلت من السيارة ورأتها وهي تتبعه بعينيها، فتقدم لها آدم بنفسه وهو يقول

لها أنه بعد العودة بالأمتعة غولد وطلب منها أن يترك سيارة ساماثا أمام المنزل.

وأخبرت السيدة غاريت عن سعادتها لحضور آدم وهي تقول:

حسناً فعلت، لأنها متعبة جداً بعد كل ما حدث، ومن الأفضل أن تعود بها سريعاً إلى المدرسة لتنال قسطاً من الهدوء.

ووجدت ساماثا نفسها تركب سيارة آدم وهي تتجه بها في طريق العودة إلى المدرسة.

والتزم آدم الصمت وأخذت هي تنظر من نافذة السيارة وهي تشعر بشيء من التعاسة، وشيئاً فشيئاً بدأت الصور تتلاشى أمام عينيها فأسندت رأسها على المقعد ولم تنتبه بعد ذلك إلا على صوت آدم وهو يقول لها أنهما وصلا إلى المدرسة.

وتمتمت ساماثا:

لا بد أنني إستغرقت في النوم.

ورد آدم في اقتضاب بالإيجاب ثم فتح باب المدرسة الأمامي وسألها وهما يعبران إلى البهو إذا كانت تريد طعاماً أو شراباً. ولكن تعبيرات وجهه لم تشجعها على طلب أي شيء، فسارعت بالقول بأن السيدة غاريت قدمت لها القهوة.

فقال آدم:

حسناً. إذهبي الآن وحاولي النوم لتنسي أحداث اليوم.

ولكن ساماثا كانت تريد أن تعرف القرار الذي اتخذه آدم بعد ساعتين من التفكير، وهو في إنتظارها خارج منزل السيدة غاريت، ولكن ما أن بدأت في توجيه سؤالها حتى بادرها بنفاد صبر:

ألم أقل لك إذهبي إلى سريرك.

حسناً سأذهب.

قالت ساماثا ذلك وهي تجر قدميها لتصعد السلم إلى غرفتها حيث إرتمت

فوق سريرها وراحت في نوم عميق.

وعندما إستيقظت في الصباح كانت أشعة الشمس تملأ الغرفة ورأت السيدة كيبل تقف إلى جانب السرير وقد أحضرت طعام الإفطار وقالت:

ها هو إفطارك يا آنسة أتوود فقد علمت من السيد ..... أنك قضيت ليلة مضطربة بعد الحادث الذي تعرضت له في الحقل أمس، عندما إنقلب أحد الوالد على الطارقة.

جلست ساماثا في سريرها وهي تدفع شعرها إلى الخلف وشعرت بالارتياح لقد أدركت أن آدم وافق على إلتزامها بإختلاق قصة لتبرير ما حدث في الحقل أمس.

وبينما هي تتناول إفطارها أخذت ساماثا تفكر في موقف آدم، إنها هي التي أرغمته على عمل شيء يناقض طبيعته، ولا بد أنه يحتقرها في سبيل ذلك. حمل غضباً كبيراً حتى استطاع أن يروض نفسه على الموافقة باختلاق هذه القصة. لقد أغضبته إلى الحد الذي لا يمكن معه أن يغفر لها وشعرت ساماثا أن أي علاقة بينهما بعد ذلك ستكون ضرباً من المحال. ولكنها قررت بذل أي محاولة لإقامة ما يشبه الصداقة بينهما حتى يحين موعد مغادرته للمدرسة.

وبعد أن أنهت ساماثا إفطارها غادرت الغرفة واتجهت إلى مكتبها. وما أن فتحت الباب حتى وجدت آدم يقف إلى جوار النافذة. وشعرت بأنه كان في انتظارها ليحاسبها على موقفها منه ليلة أمس ولكن آدم بادرها بسؤاله:

هل تشعرين بتحسن الآن؟

ولما أجابته بالإيجاب قال:

حسناً، الآن أريد منك أن تقومي بمهمة لي. بأن تحضري لي أحد الكتب من المكتبة. كنت أود أن أذهب بنفسي ولكنني مشغول للغاية. يمكنك الذهاب بالأوتوبيس إلى منزل السيدة غاريت حيث تأخذين سيارتك لتمضي بها إلى هناك.

ووقفت ساماثا بالمواجهة وهي تشعر بالراحة فقد كانت تتوقع أن يشعر
آدم في وجهها وهو يرتد اليها كلمات الرحمة ولكنه بدلاً من ذلك، بدا وكأنه
يحاول تجاهل هذا الموضوع تماماً.

وأخذ آدم يرشدها الى مكان الكتاب الذي يريده، ولكن ساماثا كانت
تريد اثارة الموضوع فقالت:

ـ شكراً لحضورك الى منزل السيدة غاريت. العودة بي أمس ولا أملك القدرة
لتبرير ما حدث في العطلة.

ونظر آدم اليها طويلاً، ثم قال وهو يشيح بوجهه لينظر من النافذة:

ـ لم تتركي لي مجالاً للاختيار، أليس كذلك؟

وقبل أن تفكر ساماثا في الاجابة، فتح الباب ودخلت إيميل تورتون
والتفتت بنظرها مباشرة الى حيث يقف آدم وهي تقول:

ـ هل تسمح لي يا حبيبي بدقيقة من وقتك، فإنني أريد إستشارتك في مسألة
هامة.

وتبعها آدم الى خارج الغرفة من دون أن يحاول النظر الى ساماثا.

وتوجهت ساماثا بعد ذلك الى منزل السيدة غاريت التي سعدت
برؤيتها وأخذت تحدثها عن جيمس وحاولت أن تقنعها بالبقاء لتناول الغداء
معها، ولكن ساماثا أخبرتها أنها حضرت تأخذ السيارة للذهاب الى ستوك.

كان الجو صحواً وقد بدت الأشجار أشد خضرة، وساماثا تقود سيارتها في
طريقها الى كوخ آدم، ولكنها كانت تشعر بالكآبة، حتى أنها لم تشعر بجمال
الجبال التي تحيط بها، ولم تتوقف في طريقها لتناول الغداء بل قادت السيارة
رأساً الى منطقة التلال حيث يوجد الكوخ.

كانت ساماثا تريد أن تنهي مهمتها بسرعة، ولم ترغب في التجول في
المكان فقد كان مليئاً بالذكريات، ولم تستطع منع نفسها وهي في طريقها الى
الكوخ من إسترجاع كل ما حدث بينها وبين آدم، وكيف بدأت الأمور تسير

بينهما بطريقة حسنة وتذكرت ذلك اليوم الذي حضرت فيه مع آدم الى هذا
المكان ويوم ذهبت معه الى المسرح، ثم كيف توترت العلاقات بينهما حتى
وصلت الى الحد الذي وصلت اليه أمس. وتوقفت ساماثا بالسيارة لحظة
وأسندت رأسها الى عجلة القيادة وانفجرت في البكاء ثم إعتدلت في جلستها بعد
أن هدأت قليلاً واستأنفت السير لتصل الى الكوخ.

وعندما وصلت نزلت من السيارة، وشعرت بالحزن يعتصر قلبها وهي تتجه الى
باب المنزل.

وما أن وصلت الى الكوخ حتى فتح الباب وظهر آدم.

اهتزت ساماثا بعنف واهتز العالم كله من حولها لا بد أنها كانت تحلم
قالت ساماثا تحدث نفسها وهي لا تكاد تقوى على الوقوف ولكنها انتبهت الى
أنها ليست في حلم فقد سمعت صوت آدم وهو يقول معاتباً:

ـ لا تخافي يا ساماثا فأنا لست شبحاً.

واستطرد وهو ينظر اليها وما زال بمكانه:

ـ لقد انتظرتك طويلاً، وخشيت ألا تحضري على الاطلاق، فرزعت من هذا
الهاجس خاصة بعدما كان مني معك.

لم تنطق ساماثا بكلمة فقد تسمرت في مكانها وهي تنظر في عيني آدم
ثم شعرت فجأة بالدماء الدافئة وهي تندفع اليها الى كل جزء من جسمها لتعيد
اليه الحياة من جديد وسمعت آدم يقول في صوت خافت:

ـ لقد حاولت مقاومتك كثيراً يا ساماثا كنت أعتقد أنه لن يمكنني العثور على
الفتاة التي يمكن أن تغزو مواقعي من النساء، ولكنني عثرت عليك يا ساماثا.

ولم تستطع ساماثا شيئاً بعد ذلك، ولم تدر كيف إندفعت لترتمي بين ذراعي
آدم، كل ما تعرفه الآن أنها بين ذراعيه ملتصقة به تسمع دقات قلبه.

وظلا متعانقين لحظات، ثم إبتعدت عنه قليلاً ونظرت الى وجهه، وكأنها تريد
التأكد من أنها ليست في حلم، ثم اندفعت من جديد لترتمي بين ذراعيه، وضمتها

نظر «آدم» إليه بحزن ثم قال:

«كان الانتظار قاسياً يا «سامانثا» واعتقدت أنني فقدتك وأنك لا تزال تكرهينني».

وصمتت «سامانثا» بأنها لا تكاد تفهم شيئاً مما حدث، فقال «آدم» وهو ينظر في عينيها:

«كل هذا لا يهم الآن، المهم هو أنني أحبك... وأشعر أنك تبادلينني شعوري أليس كذلك يا «سامانثا»..»

فنظرت إليه وهي تبتسم وقالت:

«ما زلت مغروراً أليس كذلك... وما زلت تعتقد أنه لا يمكن لأي فتاة أن تقاوم سحرك القتال».

وأمسك «آدم» وجهها بين يديه وطبع على جبينها قبلة طويلة وقال مبتسماً:

«هل يمكنك مقاومتي هذا ما أود معرفته».

وعندما اعترفت له بأنها لا تستطيع ذلك ضحك بصوت عال ثم سألها:

«هل تتزوجينني يا «سامانثا»، لا أعتقد أنك مرتبطة حقاً بـ«ريتشارد»».

فابتسمت وهي تقول:

«إن «ريتشارد» صديق عزيز ولكنه يهتم بعمله في «الكنيسة» أكثر من اهتمامه بالتفكير في الزواج الآن».

وتنهد في ارتياح وهو يقول:

«والآن ما رأيك في أن نذهب إلى الكوخ لإحضار بعض الطعام للغداء، ثم نصعد إلى أعلى التل».

«وبعيداً عن الفروسية».

«إن السيد «جورج» يحول الإشراف الآن، كما أن معه الآنسة «نورتون» وهي ترعى الفرسة بعين يقظة».

وأمسكت «سامانثا» بيده وهي تقول:

«وكنت أعتقد أنك تنوي الزواج منها».

«تهيبت بالفعل».

«لا، لن يحدث هذا أبداً».

وبعد تناول طعام الغداء جلست «سامانثا» قرب «آدم»، وقد إستلقى على ظهره على الحشائش وسألته:

«أدركت أنك..»

وقاطعها «آدم»:

«أدركت أنني أحبك... منذ أول لحظة رأيتك فيها، وشعرت بالقلق لقد أثرت في نفسي مشاعر لم تثرها أية فتاة أخرى على الإطلاق».

«ولكنك كنت..»

«وقحاً.. وفظيعاً.. ألا تقصدين ذلك؟»

«ليس هذا ما أقصد تماماً ولكنك كنت فظاً».

ثم سألته:

«لماذا يا «آدم» ألا تريد أن توضح لي الأسباب».

ونهض «آدم» من رقدته واعتدل في جلسته وقد إكتسى وجهه تعبيراً جاداً وهو يقول:

«لقد تعلمت منذ صغري ألا أثق بالنساء».

واستطرد يقول:

«كان أبي رجلاً كريماً وأحبه إلى درجة كبيرة، وكان هو يحب والدتي ويثق بها ويحاول إسعادها بأية طريقة ولكنها كانت قاسية وكنت أراها كل يوم وهي تحطم كل هذه الثقة وكل هذا الحب. كانت أنانية تلجأ إلى الغش والكذب والخداع إلى أية وسيلة لتحقيق ما تريد. لم تكن تهتم بنا أنا وأخي الذي يصغرني، وعندما تركتنا في النهاية وهربت، كان أبي قد انعزل إلى حطام ولم يحتمل الصدمة فمات بعد ذلك بعامين».

وأعقب بعد ذلك فترة من الصمت قطعتها «سامانثا» وهي تقول:

«آسفة يا آدم. وأعتقد الآن أني بدأت أفهم ولكن...»

ثم مالت قليلاً إلى الأمام ولمست يده وهي تضيف:

«ولكن أشك وحدها لم تكن السبب في ذلك. كان هناك سبب آخر أليس كذلك؟»

نظر آدم بعيداً وربما لبعض الوقت وكأنه لم يعد مهتماً ثم سألها:

«هل من الضروري التحدث في هذا الموضوع؟»

«نعم أرجوك. فقد حدث الكثير وأريد أن أتأكد من بعض الوقائع»

«حسناً سأقول لك حقيقة ما حدث»

واستطرد يقول:

«كان لي أخ كما أخبرتك من قبل. كان يدعى جيمي ويصغرني بست سنوات وكنا متفاهمين بعضنا إلى درجة كبيرة، وربما كان موقف والدتي قد ساعد على ذلك. كان أخي رائعاً وذكياً. وبعد وفاة والدتي إنفصلت للإقامة في كمبردج وبقي هو في منزلنا ولكنني كنت أراه كثيراً وأثناء دراسته الجامعية إلتقى بفتاة في إحدى مباريات التنس التي كنت أشترك أنا فيها أيضاً. كانت فتاة جميلة ومليئة بالحيوية وكل ما يمكنها على ما يبدو فعله وقت فراغ. أما هو فقد تعلق بها إلى درجة كبيرة ولم تكن له خبرة بالفتيات. كانت هي فتاته الأولى والوحيدة والأخيرة»

وحدقت سامانثا مستندة على المقعد وهي تدرك تماماً أن هذه الفتاة هي ليزا. إنها نفس القصة التي سمعتها من قبل ولكن مع بعض التزييف في الحقائق من جانب ليزا.

واستطرد آدم يتحدث بسرعة وكأنه يريد الانتهاء من الحديث:

«حسناً لقد وعدته الفتاة بالزواج ولكنها تخلت عنه في قسوة بعد أن ظهر في حياتها رجل غني وشعرت أن الصدمة قد حطمت جيمي، وبعد ذلك ببضعة أيام ذهب مع صديقه إلى سكوتلاندا ليتسلق الجبال ثم عرفت أنه سقط من إرتفاع عالي لدم يلقى حتفه على الفور»

وهمست سامانثا بعد أن زال عنها تأثير هذه القصة:

«ولكن هل تعتقد أنه تعمد قتل نفسه؟»

«لا يمكن الجزم بذلك. فقد كان جيمي شاباً رياضياً قوياً بارعاً في تسـ
الجبال، وكان من الغريب حقاً أن يسقط في مثل هذا الارتفاع بدون أن يستـ
حزام الأمان. في أي حال فقدت العائلة إبنها وشقيقي.

«ولكنك لا تعتقد ذلك؟»

أجاب آدم وهو ينظر إلى بعيد:

«لقد رأيت جيمي قبل توجهه إلى سكوتلاندا. كان انساناً محطماً ليست
رغبة في الحياة»

وأعقب ذلك صمت طويل وبدت سامانثا وقد فهمت منه ما لم تفهمه
قبل. لقد وقع في الخطأ لا مرة واحدة بل مرتين، وكان ذلك بسبب امرأة.

«ثم ذهبت لمقابلة الفتاة وكان الله عاصفاً، وقلت لها رأيي فيها بصراحة وتمنـ
يبعد منها إلى الأبد»

والتفت آدم إليها وقد لوحي بقوة هذا وسألها:

«كيف عرفت ذلك؟»

«كانت هذه الفتاة هي ليزا أليس كذلك. إنها لا تنسى أبداً ولم تسامحك قط

«نعم كانت ليزا»

وانتهى الكلام عند هذا الحد وقد اتضح الموقف أمام سامانثا الـ
اقتربت من آدم فوضع ذراعه حول كتفيها وانتهيا الصمت وهما ينظران
الظلال من حولها وعرفا في السكون الذي يسود المكان.

وانحنت سامانثا في جلستها قليلاً لتلتقط إحدى الزهور البرية الرقيقـ
وعلقت بها يدها لآدم وهي تردد أحد أبيات الشعر:

«رأيت زهوراً تنمو في بقاع صخرية...»

ثم نظرت إلى آدم وهي تقول:

«إنني أثق في هذا القول أيضاً»

ونظرت في عينيه متسائلة:

«وأنت يا آدم، هل يمكنك ذلك؟»

ونظر في عينيها طويلاً وانحنى عليها قبل أن يقول:

«ولكنني أثق بك أنت وإلى الأبد»

وتنهدت سامانثا في ارتياح وهي مسترخية بين ذراعي آدم وهمست قائلة:

«هذا كل ما أردت أن أعرفه»

الهوى يقرع مرة

كثيراً ما يقع الانسان فريسة الصراع بين الواجب والعاطفة.... وكثيراً مايبقى القلب معلقاً في الهواء لا يدري كيف ومن يختار...

سامنتا الفتاة التي ربّاها العمّ ادوارد بعد وفاة والدها صديقه الحميم ووجدت نفسها في صراع بين واجبها تجاه الرجل الذي منحها ثقته على المدرسة الخاصة التي يملكها، وبين قلبها الذي تعلق بمدير المدرسة الجديد أدم رويل.

اعترف لها أدم بحبه ولكنه هجرها بعد رؤية شقيقتها ليزا التي أخبرتها قصة ملفقة عن أدم رويل محطم قلوب الفتيات. لم تكن سامنتا تدري حقيقة العلاقة التي ربطت بين أدم وليزا، وبين أدم والمشرفة الجديدة في المدرسة، وعاشت في صراع...

ولكن من يحل مشكلتها؟ ريتشارد ابن مدير المدرسة، أم أدم رويل مدير المدرسة الجديد، أم ليزا حين تصارحها بالحقيقة...